91 me. année No 962

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Le Caire 10-12-1951

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ١٣٧١ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ماذا بعد هذا ؟

الأمر بيننا وبين الإنجليز يجل عن الكلام والكتابة وما جدوى اللسان العربى فى السمع الأعجم ؟ وما غناء القلم الأجوف فى الفؤاد المصمت ؟ هذه دماؤنا تهرق ، وأرواحنا تزهق ، وأرزاقنا تنهب ، وشوكتنا تستلان ، وكرامتنا تمتهن ، وعزتنا تستذل ، وأرضنا تحتل ، فهل يدفع عنا بعض أولئك أن نخطب حتى يجف الريق ، وأن نكتب حتى ينفد المداد ، وأن نحتج حتى تنقطع الحجج ؟ إن الشعب الذى لا يقابل التعدى إلا بالاحتجاج ، ولا يعارض التحدى إلا بالشكوى ، ساقط من حساب هيئة الأمم المتحدة ، لا تقيم له وزنا ، ولا تقدر له قيمة

إن الإنجليز فى تاريخهم الظالم المجرم لم يصيخوا إلى صوت الضمير ، ولم يحفلوا بشرف الوفاء ؛ إنما هم قوم تفعيون عمليون لا يقدمون غير المنفعة ولا يسلمون إلا بالواقع . فلذا وصفناهم بما ميزهم به الله من نذالة النفس وسفالة الطبع وبلادة الحس ولؤم السياسة وخبث النية ، قالوا فى صفاقة الخنزير ودناءة الكلب : ليس هذا فى الموضوع ! أجيبوا عن العمل بالعمل ، وردوا على القوة بالقوة !

كنت فى غلواء الشبيبة حين غضبت مصر غضبتها الأولى على هؤلاء البرابرة الحمر سنة ١٩١٩ ؛ وكنت يومئذ مدرسا بالمدرسة الإعدادية الثانوية ؛ والإعدادية والحقوق كانتا أول المدارس التى أيقظت وعى الأمة ، وأوقدت نار الثورة ، وقادت كتائب الجهاد ، ومنهما تألفت اللجنة التنفيذية للطلبة . وكانت الحال التى أجدتها الحماية المفروضة تقتضى الكلام والكتابة . كان السلطان والحكم والجيش والشرطة والصحافة فى أيدي الإنجليز ، فلم يكن لنا من سبيل بين الضغط والقهر والإرهاب إلا أن نجتمع فى المساجد والمعاهد نقول فى العلن ما لا ينشر ، ونكتب فى السر ما لا يقال . وكان نصيبى من الجهاد المقدس أن أحبر المنشورات السرية لمن يوزع ؛ وأن أحرر الخطب العلنية لمن يلق . ثم زادنى الله نفسا فى أجلى فأنا أشهد اليوم غضبتنا الثانية تتسعر فى الشباب والشيب ، وتتنمر فى الشعب والحكومة ، وتتوفر فى المدن والريف ، فلم أجد حاجة إلى أن أقول ، ولا ضرورة إلى أن أكتب . وماذا يقول القائل والوعى يقظان والرأى جميع ؟ وماذا يكتب الكاتب والشعور محتدم والعزم راسخ ؟ كل يد تطلب السلاح ، وكل نفس ترجو التضحية ! حتى أنا وقد نيفت على الستين أصبحت أجد القلم فى يدى قناة لا تنفع ، والكلام على لسانى هراء لا يفيد . إنما أود — وما تغنى الودادة — لو أكتب بالسنان وأتكلم بالمدفع !

إن اللغة التى يفهمها طغام الاستعمار ، جعل الله حروفها من حديد وكلماتها من نار . فدعوا الشعب يا أولياء أمره ، يعبر للعدو عن غضبه بهذه اللغة . وإياكم أن تقيموا السدود فى وجه السيل ،

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

أو تضعوا القيود في رجلي الأسد ، أو تلقوا الماء في فم البركان ، فإن غضب الشعوب كغضب الطبيعة ، إذا هاج لا يُقدع ، وإذا وقع لا يدفع

لقد حملنا حتى فدحنا الحمل ، وصبرنا حتى مللنا الصبر ! والصبر في بعض الأحيان عبادة كصبر أيوب ، ولكنه في بعضها الآخر بلادة كصبر الحمار !

احمد حسن الزيات

موقف الفكر العربي
من الحضارة الغربية

لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك

(تتمة)

المساواة في الأصول :

ومن المساواة، المساواة في الأصول؛ أو المساواة رغم الأصول. والمساواة رغم الأصول صرخة في الناس قديمة ؛ وهي صرخة في الشعوب العربية قديمة معروفة ، بل هي لم تحتج في العرب إلى صراخ ؛ ذلك أن هذه المساواة في طبعهم ، وهي مستمدة من بدوهم ، فالنبي : يا محمد ، والخليفة : يا أبا بكر ويا عمر . لم يكن فيهم صاحب العزة أو صاحب النيافة أو صاحب الفضيلة . كانت العزة فيهم وكانت الفضيلة أصلا ، فهي لا تحتاج إلى تنويه . وكانت مدارسهم مساجد مفتحة الأبواب لكل طالب ، فلم تكن فيهم أكسفورد ولا كمبردج . وكان أصل المرء لا يقف به دون أن يصل إلى أسمى المراتب . فالمجوسي بل من كان أبوه مجوسيا يصل إلى أكبر مراكز الدولة ؛ ومن ذلك البرامكة . وبائع الحرير يوجهه همه إلى الشريعة فيبلغ بها عند الناس المكان الأرفع، فيحترمونه ويجلونه ويتبعونه ، فذلك أبو حنيفة النعمان . والحائك يلد ولدا لا يجد سبيله إلى العيش إلا من سقي الماء يحمله في جامع عمرو ، فيصله ذلك بالعلماء فيسمع منهم ويحفظ منهم ، فإذا به الشاعر الكبير الفحل : فذلك أبو تمام . والشعب العربي يألف كل هذا ولسان حاله يقول : الكل لآدم وآدم من تراب

ويبقى هذا الطابع في الشعوب العربية إلى عصرنا هذا ، في البدو والريف ، وفي أكثر أهل المدن ، إلا جماعة من هؤلاء أخذوا عن عهود من الحكم لا بارك لها الله ، نعرة لا تأتلف والطبع الشرقي العربي أبدا . وإلا جماعة قليلة أخرى رفعها المال رفعا ، وحط بها الجهل ، وهي تأبى أن تنحط ؛ فاتخذت من الترفع ذريعة إلى الرفعة ، وحاطت نفسها بزخرف من زخارف الحضارة كاذب ، لعل في بهرة الظاهر ما يغني عن استجلاء الباطن

والشعوب العربية لم تضق بغير العربي ، فنبغ فيهم الكثير من الأعاجم . ولم يضيقوا بغير المسلم ، فكان الأخطل من بين المقربين عند خلفائهم : خلفاء بني أمية ، والدين جديد وقلوب المسلمين يقظة . واليهود وجدوا بين العرب ملجأ لما ضاقت بهم سبل الأرض . والسود لم يضق أحد بالسود ولا بالصفر ولا بالحمر، وبقي الأبيض الأسود إلى يومنا هذا فلا يكاد على اللسان العربي ، أن يلحظ سواده

ففي المساواة بين الناس رغم حقارة الأصل ، وعلى اختلاف المولد من الأرض ، وعلى اختلاف لون الجلد ، ليس في المدنية الحاضرة درس واحد تلقيه على الشرق ، بل إن دروس الشرق للغرب في ذلك كثيرة نافعة

المساواة بين الرجل والمرأة

ونوع آخر من المساواة جاءت به المدنية الحاضرة ، تلك المساواة بين الذكر والأنثى . وتلك مساواة على المجتمع الغربي طارئة . فحظ المرأة في شرق وغرب كان سواء . والرجل كان دائما ، في شرق وغرب قواما على المرأة . والمرأة في المجتمع الغربي إلى اليوم ، تتعهد عند الزواج على يد القس ، بالطاعة لزوجها . ولكن معنى المساواة أخذ يتغلغل إلى كل شيء ، فبلغ فيما بلغ علاقة ما بين الرجل والمرأة . وتعلمت المرأة الغربية فوجدت نفسها كفيئة للرجل فرفضت قيام الرجل على المرأة . ومنهن من رفضته شكلا وانتهين . ومنهن من رفضنه موضوعا . وخرجت المرأة تعمل كما يعمل الرجل ، وتكسب كما يكسب ، فأغراها استقلالها في الكسب بطلب استقلالها عند الزوج . والحق أن قومة الرجل على المرأة التي فرضتها الأديان، ما كانت ترمي إلى ظلم ولا إجحاف، وما كانت تمنع من تعاون وتفاهم . ولكن البغي في الناس قديم. وقد عصم الحب المرأة من بغي الرجل ما دام ، وعصمت القرية

الناتجة منها ؛ وعصمت حاجة الأسرة إلى السلام وضيقها بالنزاع الدائم والقلق المتصل . ولكن كان فى الرجال بقاة لم يكن للنساء منهم من عاصم . وإنى ، فى هذا العصر الحاضر ، وعلى الثقافة المنتشرة فى الناس بين رجال ونساء، لا أكاد أتصور رجلا مثقفا، تأتيه زوجته ، وهى امرأة مثقفة ، تقول له بينى وبينك خلاف خطير ، لا أرضى لك أن تكون فيه خصما وحكما ، فأنا أطلب حكم الله فيه على أيدى قضاة من قضاة الله ، فى محكمة من محاكم الله ، لا أستطيع أن أتصور رجلا تأتيه امرأة تقول له هذا ويقول : لا . وذلك أكبر ما تطلبه المرأة من مساواة

وتطلب المرأة المساواة السياسية ، وتطلب أن يكون لها صوت كصوت أكثر نساء الغرب ، فيقال لها إنك لا تفقهين فى السياسة . وينسى القائلون أن السياسة سياسة دولة ، فهى إلى جانب أنها سياسة حكم ، هى سياسة مال ، وسياسة مجتمع ، وسياسة أسرة ، وسياسة ضرائب أكثر من يشق بها المرأة ، فلابد أن تقول فيها وأن تقول سديدا . ثم كم من الرجال يفهم تلك السياسة التى يريدها القائلون بحرمان المرأة. إن حقوق الناس فيما يتصل بالسياسة على أوسع معانيها يجب أن يكون مناطها ، لا أن هذا ذكر وتلك أنثى ، ولكن إن هذا أو هذه يعقلان أو لا يعقلان ، وكم حظهما من جهل ومن عرفان

وتطلب المرأة المساواة فى العمل . وعمل المرأة لا شك فى البيت . وهكذا هى الكثرة الكبرى من نساء الغرب . إن المرأة لا تستطيع أن تلد وتربى أطفالها وتكسب خبزهم فى وقت واحد إلا أن تضطرها الضرورات . والذى دفع بنساء الغرب أن تعمل كما يعمل الرجل إنما هى الضرورة وقسوة العيش . إن المرأة العانس التى لا رزق لها إنما تأكل من عملها أو تأكل بثدييها أو بغير ذلك ، وليس من حق أحد أن يقول لها لا تعملى إلا أن يضمن لها رزق الحياة . والقول عندى أن تفتح أبواب العمل للنساء جميعا ، ليأخذ كل من الأعمال ما يصلح له ، وعندئذ تعمل قوانين الحياة عملها فلا يكون منها إلا الخير . إن الذى يغرى النساء بدق الأبواب ، ودقها عنيفا، أن الأبواب مغلقة. وللنساء فى جبلتهن ما يكفى لرد الكثرة الكبرى منهن إلى وظائفهن الأولى التى تخصصن لها فى الحياة ، تلك إيجاد الحياة فى ظل الحب ورعرعتها من بعد إيجاد ، وإسكان هذه الأرض

وكان من مساواة الرجل بالمرأة فى الغرب ؛ أن وجدت المرأة نفسها تهدر من الحرمات ما أهدر الرجل ، وهى مساواة فى سبيل الشيطان لا يرضاها إنسان، ولكن رضيها الغرب لشدة إحساسه بمعنى العدالة والمساواة حتى فى القبيح الأقبح من الأمور؟

المساواة فى فرص العيش

ومن المساواة: المساواة فى فرص العيش وطلب الأرزاق، وقد نسمى هذه الديمقراطية بالاقتصادية. وللمدنية الحاضرة فيها أساليب عدة. منها الرأسمالية ومنها الاشتراكية وهى صنوف. ومنها الشيوعية. أما الشيوعية فلسنا ندريها، ومن أجل هذا ننحيها. وأما الرأسمالية فشر إذا ما تركت فى أيدى فئات من رجال لا يحركهم بحكم الطبع إلا الأثرة وإلا الهوى . وإلا الرغبة فى زيادة المال أضعافا . وزيادة ما يأتى به من جبروت . ويصنع منهم موقفهم من مناهضة الشعب عصابة تقوم فيه، تبيع حقوقه وتشترى وهى بعيدة عن ريبة الشعب لأنها بعضه ، وهى ترضى دائما أن تختفى وراء الحاكمين ، ما بقيت فى أيديها مقاليد الأمور . وهؤلاء إن كانوا شرا على أممهم ، فشرهم على علاقات ما بين الأمم أكبر

ولكن الرأسمالية غير ذلك إذا كانت رأسمالية شعوب ، وكان لكل فرد من أفراد الأمة فيها نصيب. يعملون جميعا للانتاج، ويقفون جميعا صفا واحدا عند التقسيم . فهذه هى الاشتراكية وإليها يجب أن يتجه الفكر العربى ، وأن يتمسك بها مبدأ . أما إنفاذها فدونه الجهاد المر الطويل

المساواة فى التعليم وفرصه

ومن المساواة التى ابتدعتها المدنية الحاضرة ، المساواة فى التعليم وفرصه . بل هى جعلت التعليم إجبارا لبضع سنين . وسمته إلزاميا ، وسمته أوليا . والتعليم على الإجبار لا يكون إلا مجانا ، فجعلته مجانا

وكان التعليم قبل ذلك فى سائر الأمم ، وفى سائر الدنيات وعلى القرون ، مقصورا على فئة قليلة من الناس . ثم أراد الله

بهذه الفكرة الجديدة ؟ فكرة نشر التعليم وتعميمه ، أراد لها أن تنبت في الغرب من أوربا، عند انشقاق الكنيسة . رأى المنشقون — البروتستانت — أن خلاص الشعب الديني لا يكون إلا بالوصل المباشر بينهم وبين الله عن طريق إنجيله . وإذن لابد من القراءة . وإذن لابد من التعليم ، فأخذوا ينشرون التعليم وعن طريقه يبشرون . وقام الكاثوليك يعارضون نشرا بنشر وتبشيرا بتبشير ، وفتح مدارس بفتح مدارس . وتألف اليسوعيون جماعات كان لها في هذا الميدان بأس شديد . وجاءت الدمقراطية فرأت أن تنشر التعليم، كما رأت الكنيسة بشقيها ، ولكن لغير تلك الأسباب . رأت الكنيسة نشر التعليم بين الشعوب ليكون سبيلهم إلى السماء أهدى ؛ ورأت الدمقراطية نشر التعليم لتكون الهداية على هذه الأرض . وتنازع الطرفان أمر التعليم . تنازعته الكنيسة والدولة . وغلبت الدولة آخر الأمر

وجاء القرن التاسع عشر ، واكتمل ، فإذا التعليم قد عم في أكثر الأمم الناهضة

ولا أظن أن أحدا يريد أن يسألني ما موقف الفكر العربي من هذا الكسب الجديد من مكاسب المدنية الحاضرة

إنه ليس دليل على حاجة الشرق العربي إلى التعليم ، يكون إلزاميا ، ويكون عاما ، كمحاربة المستعمرين له في كل أمة يستعمرونها . ودليل آخر ، محاربة الرجعيين له ، والمستحوذين على السلطان من كل نوع ، في الأمة الواحدة . إن ذوى السلطان إذا لم يعصمهم الله يخشون الشعوب ، ويخشونها متعلمة . وهم يحاربون التعليم علانية ، إن استطاعوا ، ولكن أكثرهم يحاربونه خفية . وأنظر لبعض الأمم العربية لأرى كم بها من تعليم فلا أكاد أجد شيئا . وأنظر لبعضها الآخر لأرى من أي وقت في التعليم بدأت ، وإلى أي شيء قد انتهت ، فأقف وأعجب . إن التعليم قد يتخذ في تخذيله أحسن الدعوات ، ومن هذه الدعوة إلى الروية ، فإلى البطء ، لأن بغيرهما لا يكون إحسان . إن شر ما يخشاه الرجعيون ، وأهل السلطان ، من التعليم ، أن المتعلم يأبى الجوع ، ويأبى العرى ، ويأبى العمل إلا مأجورا حسن الأجر ، وتتفتح عينه بالذى يصيبها من نور وتتفتح نفسه للطيبات

إن التعليم عندى مفتاح كل مغلق من مغالق الحياة ، في شرقنا هذا العربي . ولو أني خيرت بين أشياء كثيرة يعطاها العرب ، ما اخترت المال ، ولا اخترت الاستقلال، وإنما أختار التعليم يشمل ويعم ، فهو الوسيلة إلى المال ، وهو الوسيلة إلى الاستقلال ، وهو الوسيلة إلى فتح كل باب مغلق يتدفق منه الخير كثيرا وفيرا

المدنية وشئون من الحياة أخرى :

بقيت أشياء أخرى من أشياء هذه المدنية الحاضرة ، تتعلق بأسلوب العيش : أسلوب الغذاء ، وأسلوب الكساء ، وما شاكل ذلك . فهذه أشياء لا تقدم كثيرا ، ولا تؤخر كثيرا ، وللعربي أن يأخذ منها أو يدع . وأشياء أخرى تتعلق بالطباع والعادات وهذه ما لا تستطيع المدنية أن تفعل فيه شيئا

معارضة المدنية الحاضرة :

هذه هي المدنية الحاضرة ، وهذه أصولها . هذه هي المدنية التي أكره أن أسميها غربية ؛ لأنها مدنية إنسانية ، هدفت ، لا إلى إسعاد غرب دون شرق ، ولكن إلى إسعاد الإنسان أينما كان . وهدفت إلى تعريف حقوق الفرد والجماعات ، وإلى تبيين الحقوق والواجبات ، في أي قوم وبأي أرض . وهي مدنية ، رغم بدء نشأتها في الغرب ، لم تصطبغ كثيرا بصبغة دينها الغالب . وأكثر مفكريها ، السابقون فيها واللاحقون ، وقفوا بعيدا عن الدين ، تعمدا وقصدا ، وهم يفكرون

وللمدنية الحاضرة ، ككل المدنيات ، لها محاسن ومقابح . وقد تركزت على محاسنها ، وتركت القبيح . لأن القبيح قبيح في كل فكر وكل عصر ، وقد تتسم المدنيه بقبيح لا ترضاه ، ولكنه

تعلق بأذيالها لخماته منها فيما تحمل من طبائع الناس

ومن أهل الشرق من يتصلب عوده تعصبا كلما سمع بالمدنية الغربية . وحق له أن يتعصب ؛ لأن الشرق شقى بالغرب أكبر شقاء ولا يزال يشقى . وسوف يشقى

ولكن الشرق إن شقى بأهل الغرب ، فهو لم يشق بمدنيتهم إنه شقى بالذى فى طبائع أبناء آدم من أثرة ومن ظلم ومن إجحاف وأحيانا من سفه وغباء . وهو قد شقى بمثل هذه الطبائع فى عقر داره ، ومن أهله وعشيرته وأهل السلطان فيه ، فكيف بالغرباء . والشرق ينسى أن هذه المدنية تجربة يمتحن بها أهلها كما يمتحن مقتبسوها ، وأن أهل الغرب فى محنة منها ؛ بالذى تأتى به من ضائقات وأزمات ، ومن حروب ؛ لأنها مدنية لم تبلغ بعد الغاية منها ، وبعض أهدافها قد تحقق ، وسائر أهدافها ينتظر التحقيق

ومن أهل الشرق من تبلغ به كراهة الغرب إلى حد أن يرى أن يقاوم الغرب ، لا ظلمه وإجحافه ، واستبداده واستعباده ، ولكن أن يقاومه كذلك فكرة ومدنية . وهيهات . إن المدنيات القديمة أخذ بعضها من بعض ، إذا تعادلا قوة ، وقام بعضها على أنقاض بعض . ولم يكن فى تلك الأزمان من تقارب الناس واتصالهم كما بين أهل الأرض اليوم من قرب اتصال . إن الطائرة وهى تطوف حول الأرض اليوم ، تكاد تجارى الشمس سرعة التفاف حول الأرض فكيف يقاوم الشرق العربى ، على ضعفه ، مدنية عارمة واقعة تحت عينيه وعند سمعه ، وأخبارها أسرع إليه من بعض أخبار قومه

وما لى أقول فى هذا ، والواقع يقول منى فيغنى ؟

أليست المدنية قد وصلت إلى أبعد ما خال المرء أن تصل ، إلى الصحراء . ألا يوجد فى صحارى العرب اليوم بقاع تحلها ، فتحسب أنك حللت بحلولها من المدنية فى الصميم ؟ وفى المدن ، فى بعضها ، ألست تلقى المرأة محجبة من قمة رأسها إلى قدمها ، تنظر إلى الدنيا من ثقوب ، فإذا خلعت ذاك الحجاب تجلت لك من تحته آخر أزياء باريس ؟ وفى مدن الشرق العامة ، هل تركت هذه المدن شيئا من المدنية لم تأخذه منها ، من أسلوب بناء ، إلى نظام مصارف ، إلى برامج مدارس ، إلى قوانين حكم ؟

إن المدنية الحاضرة فيض غمر لا يقف فى سبيله شىء إلا اقتلعه ولست أقول هذا عن تخاذل ، ولا أقوله عن تسليم ، ولكن أقوله لأننى أرى أن أية مقاومة مجهود ضائع ، لا يكون منه إلا تأخير اليوم الذى ينتفع فيه الشرق بما أنتج الغرب ، لا من مدنية غربية ، ولكن من مدنية إنسانية عالية أساسها تحرر الفكر الإنسانى من قيوده ، وغايتها رفاهية الإنسان وإسعاده . وليس بها ما لا يمكن تأليفه ومطالب الشرق ودينه وعاداته . والمقاومة يكون بديلا منها المساهمة . المساهمة فى تخطيط طرق الحياة لأجيال من الناس مقبلة

احمد زكى

٧ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دماء ودماء :

اتسم طابع الاحتلال البريطاني منذ دخول الانجليز مصر بميل البريطانيين إلى سفك دماء المصريين

في دنشواي ١٩٠٦ أعدم المصريون شنقا في وسط قريتهم دنشواي

وفي ١٩١٩ جرت دماء المصريين أنهارا . لماذا ؟ لأن المصريين طالبوا بالغاء الحماية وإعلان استقلالهم

وفي ١٧ ، ١٨ نوفمبر الحالي سفك البريطانيون دماء المصريين في بجزرة الاسماعيلية ، وإليك البيان :

من ١٥ - ٢٢ نوفمبر ١٩٥١ :

في ١٥ نوفمبر افتتح جلالة الملك فاروق ملك مصر والسودان الدورة الثالثة للهيئة النيابيــة العاشرة ، وألقى رفعــة مصطفى النحاس باشــا خطاب العرش الذي جاء فيه أن مصر قد ألغت معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ بعد أن ضاقت ذرعا بالمفاوضات مع بريطانيا، وأن انجلترا بدلا من أن تسلم بالأمر الواقع « آثرت العنف والالتجاء إلى القوة الغاشمة. وقد صمدت الحكومة والشعب لهذا العدوان ولن تتراجع حكومتي عن خطتها ... ولن تلين لها قناة تحت أي ضغط أو إكراه . »

وقد تفضل جلالة الملك فوجه إلى أعضاء لجنــة الاستقبال البرلمانية عند تشرفهم بالمقابلة الملكية النطق الملكي الكريم :

« إن البلاد تمر الآن بمرحلة شبيهة بمرحلة ١٩١٩ ، إن لم تكن أشد منها وأكبر ، وسنجتازها بإذن الله وتوفيقه بسلام وإني لأهنئكم بهذا النضال ، واعلــوا أنه بالنضال وحده تنضج الأمم وتصل إلى المستوى اللائق بها

وإني أوصيكم بضم الصفوف ، وتوحيد الجهود ، وأضع يدي في يدكم أفرادا وجماعات ، وأؤيد كل من يعمل لمصلحة الوطن . إننا نقف صفا واحدا في بيوت الله فلا معنى لإن نتفرق خارجها

وفقكم الله لما فيه الخير ، وأسبغ من رحمته على من استشهد من أبناء الوطن في هذا الكفاح ، والجنة للمستشهدين . »

وهــكذا وقفت مصر ملـكا وشعبا تناضل في سبيل حريتها وهي لا بد بالغة ما تريد إن شاء الله

وفي يوم الجمعة ١٦ نوفمبر وقف معالي الوطني العظيم الدكتور محمد صلاح الدين باشا يتحدث في الجمعية العامة للأمم المتحدة ففضح سياسة الانجليز في وادي النيل وكشف مناوراتهم الخبيثة لإطالة احتلالهم لمصر وفصل السودان عن مصر وندد بالوحشية والفظائع التي ارتكبها الانجليز في منطقة القنال ووصفها قائلا إنها « عدوان همجي مخجل من المملكة المتحدة، وخرق صارخ للسلم العالمي والأمن الدولي ، وامتهان بالغ لمبادئ الميثاق وأهدافه السامية . »

وانتقل إلى الحديث عن السودان وتحدى الانجليز أن يخرج المصريون والانجليز من السودان ثم يجري فيه استفتــاء حر على يد هيئة الأمم المتحدة وأشــار إلى مندوبيهم كمن يقول « اقبلوا هذا التحدي إن كنتم مخلصين . »

وأسقط في يد الانجليز فحاولوا منعه من الكلام فلم يستطيعوا كما لم يستطيعوا على بيانه تعقيبا

وفي يوم السبت ١٧ نوفمبر جاء الرد الانجــليزي على مصر ووزير خارجيتها : ففي الساعة العــاشرة من مساء ذلك اليوم انتشرت فجأة عــدة دوريات مسلحة في مختلف أرجاء مدينة الاسماعيلية ثم بدأت تطلق نيرانهــا في وقت واحــد فقلبت أمن المدينة جحيما مستعر النيران؛ ولم يميز الانجليز في هذا بين المدنيين وبين رجال البوليس فسقط من الشهداء كثيرون

وفي يوم الأحد ١٨ نوفمبر عاود الأنجليز هجومهم الوحشي على المدينة وبالغوا في إجرامهم إلى أبعد مدى يستطيع العقل البشري أن يتصور فظاعته ، فقد ظلوا يطلقون النيران على المدينة من الساعة الثالثة مساء حتى الساعة العاشرة

وفي هذه المجزرة استشهد عشر مواطنين : خمس من المدنيين وخمس من الجنود وجرح سبعة وعشرون

وقد فقد الانجليز ضابطين وسبعة جنود وجرح أكثر من ثلاثين جنديا . ولكن أكثر من هذا : لقد اشتركت مدمرة بريطانية في ضرب الاسماعيلية وشاء ربك أن تسقط القنابل في معسكر انجليزي وتفتك بجنوده. ويتكتم الانجليز أنباء عددالقتلى منهم ولكن في كل يوم يعثر على جثث طافية لهم في ترعة الاسماعيلية وفي بحيرة التمساح

وفي مساء الاثنين ١٩ نوفمبر وقف إيدن وزير خارجية بريطانيا يتحدث في مجلس العموم البريطاني فقال « إن القومية العدوانية أو التعصب الديني أو الاثنين معا حاولا إثارة الحقد والكراهية والبغضاء بين فريقين كان ينبغي أن يكونا صديقين. نعم ينبغي أن تكون مصر صديقة لبريطانيا لأن بريطانيا تقتل كل يوم من المصريين من تستطيع وتهتك أعراض المصريين وتسلب أموالهم وحرياتهم وتعتدي على استقلالهم ووحدتهم . هذا هو منطق الانجليز !! وقال « إن بريطانيا على استعداد الآن لإعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦ والاستعاضة عنها باتفاق مع الدول الأخرى لحماية قناة السويس. وكأنه يريد أن يقول إن سبع سنوات من المفاوضات لم تكن كافية لتعديل معاهدة ٣٦ البائدة ويزيد فيريد أن يفرض حماية دولية على قناة السويس مع أن مصر قد ضاقت ذرعا بانجلترا وحدها

وقال « إذا أريد نجاح أية محادثات بين مصر وبريطانيا يجب الكف عن النشاط الإرهابي الموجه ضدنا في منطقة القناة . فالموقف هناك لا شك خطير . » وكأني به يريد أن يقول إن تبعة مجزرة الاسماعيلية تقع على عاتق المصريين إذ هي رد على اعتداءات الفدائيين. لا يامستر إيدن! إنها رد على صلاح الدين . ولكن اعلم أن مصر قد وقفت تناضل عن حريتها، ولن تضعف مهما ارتكبتم من إثم أو اقترفتم من جرم . إننا لا نريد احتلالا فاخرجوا من ديارنا وكفى

ووقف مستر موريسون وزير خارجية انجلترا السابق يؤيد إيدن ، انجليزي يؤيد انجليزيا ! أمر معروف ولن نعبأ بإيدن أو بموريسون

ويختم إيدن حديثه طالبا أن تعود ألمانيا وإيطاليا من جديد وأن تصبحا عضوين في هيئة الأمم . هذا هو جزاء الانجليز للاعداء . أما مصر الصديقة فيقتل أبناؤها جزاء لها على صداقتها !

وإني أحب أن أبعث بالتحية إلى الفدائيين من إخواننا فقد أقلقوا مضاجع الانجليز بأعمالهم الجريئة ، وبشجاعتهم وحسن حيلهم من استخدام القطط المشتعلة إلى إطلاق الثعابين والأفاعي

وفي ٢٠ نوفمبر ١٩٥١ قدم الدكتور مصدق رئيس وزراء إيران وبطل تحريرها إلى مصر فاستقبلته مصر استقبالا حماسيا رائعا . ولا عجب فمصر شقيقة إيران وكلتاهما تناضل العدو المشترك بريطانيا

مارس ١٩١٩ :

رأينا كيف بدأت الثورة المصرية ثورة سلمية هدفها إلغاء الحماية وإعلان الاستقلال ، ولكن الإنجليز أبوا على المصريين حقهم المشروع في الحرية والاستقلال وانطلقت قواتهم الغاشمة تعتدي على العزل الأبرياء وتسفك دماء الشهداء ، دون ذنب إلا إخلاصهم لوطنهم . وبلغ الجنون بالإنجليز أقصاه فانطلقوا يطلقون الرصاص على المصلين وهم خارجون من المشهد الحسيني بعد قضاء صلاة يوم الجمعة ١٤ مارس . وقد حسبوا أن تجمع المصلين مظاهرة ، ولكنهم في عدوانهم هذا لم يميزوا أيضا بين رجل وامرأة فقتلوا بعض النساء

اضراب المحامين :

في ١١ مارس أضرب المحامون عن العمل احتجاجا على

موقف انجلترا من مصر ومنعها للوفد من السفر والتجائها إلى سياسة الإرهاب والشدة إزاء المصريين وقبضها على زعماء مصر وطلبوا نقل أسمائهم إلى جدول غير المشتغلين

وقد وافق مجلس نقابة المحامين على قرار الإضراب ونفذ المحامون القرار فى ١١ مارس ، وكان لهذا القرار أثر كبير فى نجاح الثورة « فقد كان بمثابة دعوة عملية إلى طوائف الشعب للاضراب العام . »

وفى ١٥ مارس انضم المحامون الشرعيون إلى زملائهم وقرروا الإضراب أيضا. وقداقتحم المتظاهرون المحكمة الشرعية العليا وطلبوا إلى رئيسها أن يسير على رأس مظاهرتهم فقبل . وركب عربة جاء بها المتظاهرون، ولكن البوليس هاجم المتظاهرين وأصيب منهم اثنا عشر غلاما فى أرجلهم .

وفى هذا اليوم أيضا أضرب عمال عنابر السكة الحديد ببولاق ، وألفوا مظاهرة تأييدا للطلبة فوقفت حركة السكة الحديدية

وقد اضطرت الحكومة إزاء هذه الإضرابات أن تنشر جنودها فى جميع أحياء القاهرة واضطرت إلى احتلال محطة القاهرة والعنابر والورش بحى السبتية

محاكم عسكرية :

أنشأت السلطة محاكم عسكرية فى القاهرة أولا ثم فى الأقاليم لسرعة البت فى قضايا المظاهرات والمتظاهرين . وقد قضت هذه المحاكم بأحكام مختلفة على كثير من المتظاهرين وكان من بين أحكامها : الحكم على حسن عبد الباقى الترجى بجنيه غرامة أو السجن أحد عشر يوما لأنه مزق منشورا للسلطة العسكرية !

مظاهرة السيدات :

أبت المرأة المصرية أن تترك الرجل المصرى ينفرد بشرف الجهاد ، ولهذا الغرض اجتمع عدد كبير من فضليات السيدات والآنسات فى يوم الأحد ١٦ مارس وخرجن فى مظاهرة كبرى سارت فى شوارع العاصمة تنادى بالحرية والاستقلال لمصر ، وبسقوط الحماية والظلم والاستبداد ، والاحتجاج على ما أصاب الأبرياء من القتل والتعذيب

وقد أخذت المتظاهرات يطفن فى حشمة ووقار بدور معتمدى الدول الأجانب ويقدمن إليهم منشورا :

« جناب المتمد :

يرفع هذا لجنابكم السيدات المصريات أمهات وأخوات وزوجات من ذهبوا ضحية المطامع البريطانية ، يحتججن على الأعمال الوحشية التى قوبلت بها الأمة المصرية الهادئة لا لذنب ارتكبته سوى المطالبة بحرية البلاد واستقلالها تطبيقا للمبادئ التى فاه بها الدكتور ولسن وقبلتها جميع الدول محاربة كانت أو محايدة

نقدم لجنابكم هذا ونرجو أن ترفعوه لدولتكم البجلة لأنها أخذت على عاتقها تنفيذ المبادئ المذكورة والعمل عليها، ونرجوكم إبلاغها ما رأيتموه وما شاهده رعاياكم المحترمون من أعمال الوحشية وإطلاق الرصاص على الأبناء والأطفال والأولاد والرجال العزل من السلاح لمجرد احتجاجهم بطريق المظاهرات السلمية على منع المصريين من السفر للخارج لعرض قضيتهم على مؤتمر السلام أسوة بباقى الأمم وتنفيذا للمبادئ التى اتخذت أساسا للصلح العام ، ولأنهم يحتجون أيضا على اعتقال بعض رجالهم وتسفيرهم إلى جزيرة مالطة

لنا الأمل يا جناب المتمد أن يحل طلبنا هذا نحن السيدات المصريات محل القبول ولا زلتم عونا لنصرة الحق مؤيدين لمبادئ الحرية والسلام . »

وقد أثار منظر السيدات والآنسات فى المظاهرة الحماسية فى النفوس ووقفت الناس على جوانب الطرق يحيون المتظاهرات وشاركتهن زميلاتهن بالزغاريد من داخل المنازل فأحفظ ذلك الإنجليز وأخذوا يتعرضون لهؤلاء السيدات. وحينما وصل الموكب

إلى شارع سعد زغلول ووجهته « بيت الأمة » ضرب الإنجليز نطاقا حول المتظاهرات ومنعوهن من مواصلة السير وصوبوا بنادقهم نحو صدورهن ، ومع هـذا فإن المتظاهرات لم يرهبن التهديد وتقدمت إحداهن وقالت لجنـدي شهر عليها بندقيته : « نحن لا نهاب الموت ، أطلق بندقيتك في صدري لتجعلوا في مصر مس كافل (١) ثانية . »

قالت هذه العبارة بالفرنسية ففهمها الضابط فخجل وتنحى لهن عن الطريق بعـد أن وقفن في حرارة الشمس أكثر من ساعتين

وقد كتب المتظاهرات احتجاجا ثانيا على هـذه المعاملة ورفعوه مع الاحتجاج الأول إلى معتمدي الدول الأجنبية . ولقد كان منظر الجند المدججين بالسلاح وهم يتعرضون للسيدات الكرام مدعاة إلى احتقارهم

وقد حيا شاعر النيل حافظ بك ابرهيم مظاهرة السيدات في قصيدة رائعة :

خرج الغواني يحتججـــن ورحت أرقب جمعهنه
فإذا بهن تخذن من سود الثياب شعارهنه
فطلعن مثل كواكب يسطعن في وسط الدجنه
وأخذن يجتزن الطريق ودار سعـد قصدهنه
يمشين في كنف الوقا ر وقد أبن شعورهنه
وإذا بجيش مقبل والخيل مطلقة الأعنه
وإذا الجنود سيوفها قد صوبت لنحورهنه
وإذا المدافع والبنا دق والصوارم والأسنه
والخيل والفرسان قد ضربت نطاقا حولهنه
والورد والريحان في ذاك النهار سلاحهنه
فتطاحن الجيشان سا عات تشيب لها الأجنه
فتضعضع النسوان والنسوان ليس لهن منه
ثم انهزمن مشتتات الشمـل نحو قصورهنه

* * *

فليهنأ الجيش الفخو ر بنصره وبكسرهنه
فكأنما الألمان قد لبسوا البراقع بينهنه
وأتوا بهندنبرج مختـــفيا بمصر يقودهنه
فلذاك خافوا بأسهن وأشفقوا من كيدهنه

أبو الفتوح عطيفة

(١) ممرضة انجليزية أسرها الألمان وأعدموها وكان لقتلها ضجة كبيرة في العالم

موازنة وتحليل :

بين شوقي وولي الدين يكن

سقوط عبد الحميد

للأستاذ محمد رجب البيومي

بين شوقي وولي الدين مشابه كثيرة ، فكلا الرجلين تركي الأصل ، وكلاهما نشأ في ظلال الترف والنعمة ، وذللت دونه طرق المجد والجاه ، فاتصل بالأسرة الحاكمة ، وتقلب في المناصب المرموقة. وكلاهما شاعر مبدع يصوغ القلائد الساحرة ، ويصرف أعنة البيان حيث يريد . وكلاهما يتنقل به هواه فوق ضفاف البسفور ، وعلى شواطئ النيل ، فأنت تسمع لهما الروائع المبدعة في وصف الآستانة ، كما تقرأ لهما الحنين الدائب إلى مطارح النيل ، حيث قدر لهما أن ينزحا من القاهرة مغتربين ، ذاك إلى الأندلس، وهذا إلى سيواس ، وفي غياهب المنفى السحيق تتأجج العاطفة ، ويجيش الخاطر بالروعة والإبداع

ورغم هذه المشابه العديدة فقد افترق الشاعران في وجهة نظريهما إلى السلطان عبد الحميد افتراقا شاسعا ، وقد وجد كلاهما من ظروف حياته ، وطبيعة شخصيته ، ما يدفع به إلى التمسك برأيه والدفاع عنه بما يملك من بيان . وقد كان لعبد الحميد في كثير من الأذهان صور متناقضة متضاربة ، فهو — من ناحية — أمير المؤمنين الرسمي ، وقائد الإسلام الرمزي ، وظل الله في أرضه ، وخليفته في تنفيذ أوامره وتحريم نواهيه ! وهو — من ناحية ثانية — طاغية مستبد ، يعذب الأبرياء ، ويغتال النصحاء ، وينصب الدسائس والشباك ، ويجمع الحور والغانيات في قصوره المترفة الناعمة ، ويصل إلى أهوائه الجامحة في طريق من الأشلاء والدماء ! وتلك أمور تدعو إلى الثورة وتدفع إلى العصيان ، فانطلقت الألسنة بالعراق والشام ومصر تندد ببغيه وعدوانه ، وقام الزهاوي والرصافي وولي الدين بتجريحه وهجوه ، فأظهروا للملأ فضائحه ومثالبه . ومن المدهش الغريب أن يقوم إلى جانب هؤلاء الثائرين شعراء مبدعون يكيلون المدح كيلا للسلطان الجائر ، ويرسلون القصائد الرنانة تلهج بالثناء عليه ، وتحيل ظلماته الدامسة إلى نهار ضاح ! وأنت تسأل عن سبب ذلك فنجد هؤلاء المادحين يهيمون بالوحدة الإسلامية ، ويخافون أن تتصدع الخلافة بمهاجمة السلطان ، فتتفرق كلمة المسلمين ، ويصبحون طعاما سائغا للمتربصين من الأعداء . وخير عندهم أن يتغاضوا عن أعمال هذا الطاغية ، من أن تدور الدوائر على الكلمة الجامعة والشمل المتماسك ، فتنحدر الخلافة إلى المهوى السحيق ! هـذا ما كان يعتقده محرم والكاشف والرافعي وحافظ والقاياتي وغيرهم ممن أطالوا الباطل حقا بمدائحهم الموهمة ، ووقفوا من ولي الدين وشيعته على طرفي نقيض !

وقد كان أمير الشعراء مدفوعا إلى مدح السلطان الجائر بهذا الدافع من ناحية ، وبدافع أقوى منه من ناحية أخرى ، فهو شاعر القصر ، وترجمان البلاط الخديوي ، يأتمر بأمره ، وينطق بلسانه . وكان النفور القائم بين الاحتلال الإنجليزي ، والخديوي الشاب يدفع الباب العالي بالآستانة إلى العطف على عباس وتحبيذه ، كما يدفع الأمير الغيور إلى الاعتزاز بالسلطان والتطلع إليه . وطبيعي أن يعبر شوقي عن ذلك بمدائحه المسهبة في كل مناسبة تحين ، وتمضي هذه القصائد إلى أسماع عبد الحميد فتأخذ مكانها من نفسه ، وتميل به إلى الشاعر المادح ، فإذا زار شوقي الآستانة نزل ضيفا على السلطان ، ونال من الحفاوة والتجلة ما يضاعف حبه وينمي إخلاصه ، فيشدو بعظمة عبد الحميد ، ويطلق لخياله العنان في تهنئته ومديحه ! مع أن مظالمه الدامية لا تطاق بحال !

هـذا الوضع السياسي الذي جذب شوقيا إلى ساحة عبد الحميد ، قد قابله وضع مضاد لولي الدين ، حيث أتيح للشاعر أن يمكث مدة غير قصيرة بالآستانة ، فرأى بعينه ما يسمعه الناس

من فظائع السلطان ، وشاهد الظلم والدسيسة والخيانة في أبشع صورها ، فلم يطق صبرا على ما شاهد بعينه ولمس بيده ، فرجع إلى القاهرة وأنشأ جريدة الاستقامة ، وأعلن الثورة على السلطان في جبروته ، ورسم بقلمه المؤثر صورا حزينة للضحايا الأبرياء الذين تجرعوا الغصص القاتلة بالأستانة ، فأصبح من أعلام المعارضين للسياسة العثمانية . وقد حوربت جريدته محاربة شديدة ، وتصدى لها الحكام والولاة تصديا ماحقا ، حتى لم تعد تصل إلى قرائها في مختلف الأمصار . ورأى الشاعر من الحزم أن يقطع صدورها ، ولكنه لم يغمد قلمه بل شهره في الصحف اليومية التي تميل إلى رأيه ، وجعل من جريدتي المقطم والمشير منبرا يذيع علاته من فوقه . وشاءت السياسة العثمانية أن ترشوه كغيره من المعارضين فعين عضوا بمجلس المعارف الأعلى في الاستانة . وكان الظن به أن يقنع بمنصبه الساحر ، ولكن واصل الهجوم العنيف دون مبالاة ، فصدر الأمر بنفيه إلى سيواس ! وقضى سبع سنوات في مكان موحش مقفر ، لا يرى غير الغيوم والصخور والأمطار والهضاب . وكلما اشتعل الغيظ في صدره أرسل قريضه منددا هاجيا ، ولم يذق طعم الراحة حتى صدر الدستور العثماني ثم عزل السلطان بعد ذلك فهوى إلى الحضيض !

هذه عجالة تاريخية توضح لنا البواعث التي حدت بشوقي وصاحبه إلى موقفهما المختلف من السياسة العثمانية . والباحث المنصف يعجب كل الإعجاب ببسالة ولي الدين وشجاعته ، فهو لم يشأ أن يذعن للباطل في أمر مهما قبض الثمن غاليا ، وكان يغيظه من شوقي أن يبالغ في مدائحه مبالغة تدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فهو يعلم علم العلم ما يجري بالاستانة من محن ونكبات ، ولكنه لا يقتصر على الثناء الرسمي والدعاء بالتوفيق والهداية كما يفعل مادحو السلطان ، بل يزعم أنه أعاد سيرة الفاروق ، وأنه كفل البائسين والأيتام بتاج من عطفه وإخلاصه ، وأن الخصب والنماء والنعام هبات تتناثر من كفه ، بل إن البيت العتيق ليشكر ربه من أجله ، وعرفات يسعى هاتفا به ، وأن الرسول يهنأ في قبره بحياته ، فهي حياة الدين واليتامى والمساكين ! إلى غير ذلك مما يراجعه القارئ في الشوقيات !

وبعد جهاد متواصل كادح من الشعب والجيش كان ما لا بد أن يكون ، فقد حاق المكر السيئ بأهله ! ودارت على الباغي الدوائر ، وتقدمت الجيوش زاحفة إلى « يلدز » فسقط السلطان من عليائه ، ونزل الجبار عن عرشه . وطار الخبر إلى ولي الدين فصفق شعره في خاطره ، ونظم قصيدة شامتة يذكر فيها السعادة الذاهبة ، والمجد البائد ، ويتصور الأسير المهيض وقد كبل بالأغلال وتجرع غصص الحرمان متيقظا ، فإذا أغفت عينه نغصته الأحلام بأطياف خاطفة للملك الزائل ، وبدره الآفل ! إنه ليقول في تشف ساخر وتهكم مرير :

عزاء أيها الشاقي الرعايا ... ولا تجزع فخالقهم قلاكا
حرمت كراك أعواما طوالا ... وليتك بعد ذا تلقى كراكا
تفارقك السعادة لا لعود ... وقد عاشت خطاها في خطاكا
فدع صرحا أقمت به زمانا ... وقل يا قصر لست لمن بناكا
نعم عبد الحميد اندب زمانا ... تولى ليس يحمده سواكا
تولى بين أبكار حسان ... تمادى في غدائرها نهاكا
جعلت فداءها الدنيا جميعا ... ولو ملكتها جعلت فداكا
وطال سراك في ليل التصابي ... وقد أصبحت لم تحمد سراكا
ستحيا في سلانيك زمانا ... ستحمد فيه عن بعد أخاكا
وتعلم أن ملكا ترتضيه ... ولمت به ، ولكن ما ارتضاكا
فإن زار الكرى عينيك ليلا ... وعادك تحت طيته أساكا
تمثل في المنام لديك ناس ... تخبر عن دمائهمو يداكا
وما هم بالأفول دجاك لما ... تبدوا كالكواكب في دجاكا

وتمضي القصيدة إلى قراء العربية ومعها أخوات قالها الأحرار من الشعراء في شتى بقاع العالم الإسلامي ، فتعبر عن السرور الفائق وتنطق بما تكن المشاعر الساخطة على الأسير المعزول . ويجرف التيار بطوفانه الجائش جميع الشعراء ، فيستقبلون الخليفة الجديد مهنئين ويشيعون الراحل المستبد لاعنين مسبين ، ولكن شوقيا وحده يظهر الأسف على سقوط السلطان وانحداره ، ويفيض خاطره الحزين بقصيدته الشهيرة

« سل يلدزا ذات القصور » غير مستطيع أن يكبت عواطفه الملتاعة ، بل ينسى الشعور العام فى العالم الإسلامى ويقول عن عبد الحميد :

خطب الإمام على النظيم يعز شرحا والنثير
شيخ الملوك وإن تضعضع فى الفؤاد وفى الضمير
نستغفر المولى له ! والله يعفو عن كثير
وتراه عند مصابه أولى ببالك أو عذير
ونصونه ونجــله بين الشماتة والنكير

ولكن ولى الدين لا يرضيه هذا الإغضاء الخاطئ ، ويخاف أن تجد قصيدة شوقى مكانها فى النفوس ، فتميل ببعض العواطف نحو السلطان الذاهب ، وتطوىء ما سطع من بريق الفرحة والابتهاج ، فيلجأ الشاعر إلى مناقضتها مناقضة حارة فى قصيدته التى مطلعها :

هاجتك خالية القصور وشجتك آفلة البدور

وقد وقف بها أمام شوقى وجها لوجه ، فدحض حججه ، وناقض أدلته ، وأفسح لنا مجال الموازنة والتحليل ، وكانتا القصيدتين بعد ذلك تعلن شعور قائلها واتجاهه ، وتصور تفكيره وأسلوبه ، وهأنذا أفصح عنهما بعض الإفصاح

* * *

بدأ أمير الشعراء قصيدته كما يبتدئ قصائد الرثاء والتأبين ، فهو يسأل يلدز عن نيرانها الثواقب ، ويعلن عجزها عن الإجابة المقنعة ، فقد أناخ عليها الدهر كما أناخ — فى البعيد الغابر — على قصور النعمان بالحيرة ، فأصبح الخورنق والسدير أطلالا دارسة ، وكما أناخ — فى القريب الماثل — على الجزيرة وقصر إسماعيل فغاب عنهما الأنس والبهاء ! وورح الشاعر فى مطلع قصيدته هامسة كئيبة تعلن عن ذاتها إذ تقول :

سل يلدزا ذات القصور هل جاءها نبأ البدور
لو تستطيع إجابة لبكتك بالدمع الغزير
أخنى عليها ما أنا خ على الخورنق والسدير
ودها الجزيرة بعـــد إسماعيل والقصر الكبير
ذهب الجميع فلا القصور ترى ولا أهل القصور
فلك يدور سعوده ونحوسه بيد المدير !!

أما ولى الدين فيعجب لشوقى كيف تهيجه القصور الخالية من الأنيس ، وتشجيه البدور الآفلة بعد السطوع ، وكيف يذكر أصحاب الترف والنعيم ، وينسى المقابر المليئة بالضحايا ، الآهلة بالأبرياء ، وكيف يسكب الدمع الغزير على طاغيه طالما أثار الدامع وأبكى القلوب ، ونهب الأموال، وبدد الضياع ! ويعلن أن ذهاب يلدز غنيمة كبرى للشعب الجريح ، فستأهل بعدها الدور الموحشة ، وستضىء المنازل الخربة ، ويحيا المذبون أعزة سعداء ! والقارئ يلمس صدق العاطفة ، وسلامة المنطق إذ يسمع وليا يقول :

هاجتك خالية القصور وشجتك آفلة البدور
وذكرت سكان الحمى ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغز ير لباعث الدمع الغزير
ولواهب المال الكثير وناهب المال الكثير
إن كان أخلى يلدزا غلى الخورنق والسدير
فلتأهلن من بعدها آلاف أطلال ودور
بعض النجوم ثواقب والبعض دائمة المسير

وكما بدأ البحترى قصيدته فى رثاء المتوكل بوصف قصره المنيف ، وما منى به من ذلة بعد عزة ، ثم انتقل إلى أوانس القصر وظبائه ، ومقاصره وستائره ، فكذلك ابتدأ شوقى قصيدته يتحدث عن القصور فى يلدز ثم ينتقل إلى غانياتها الساحرات ، ولشوقى سلاسة وعذوبة حين يتحدث عن هؤلاء المترعات من النعيم المائرات من الدلال ، الناهيات الآمرات على الولاة ، الطيبات الأريج ، الذاهلات عن الزمان بما هن فيه من خفض ونعيم ، المشرفات على الهالك ، بين المشارف والرفارف والزخارف ! الآمنات فى مسكن فوق السماك بين المعاقل والخيول والرماح وفوق غارات المغير ، أجل ! إن لشوقى براعة فى رسم هـذه الصور الفاتنة الخلابة ، وإنهـا لتتجلى لعينيك حين

تسمعه يقول :

أين الأوانس فى ذراهـا   من ملائك وحـور
المترعات من النعـيم   الراويات من السرور
العاثرات من الدلا   ل الناهضات من الغرور
الآمرات على الولا   ة الناهيات على «الصدور»
الناعمـات الطيبـات   العرف أمثال الزهور
الذاهـلات عن الزما   ن بنشوة العيش النضير
المشرفات وما انتقلن على   الممالك والبحـور
أمضى نفوذاً من «زبيدة»   فى الإمارة والأمـير
بين الرفارف والمشارف   والزخارف والحرير
والدر مؤتلق السنا   والمسك فواح العبـير
فى مسكن فوق السماك   وفوق غارات المغـير
بين المعاقل والقنا   والخيل والجم الغفير

وهؤلاء الآمرات الناهيـات لا يقام لهن وزن فى منطق ولى الدين ، بل إنهن السبب فى نكبة السلطان ومحنته ، فقد صرفنه عن التعقل والتدبير ، واستلبن أموال الدولة فيما يطلبن من لآلى وعقود وحلى ! فعكف على أسرابهن الفاتنات يعتصر الخدود ، ويهتصر الخصور ، مستمدا من فتور عيونهن فتوراً فى همته وانكسارا فى عزيمته . . . كل ذلك وجيش الدولة ساغب جائع لا يجد ما يقيم أوده من العيش ، فأجنـاده صفر الوجوه ، خمص البطون ، يشكون المتربة والفاقة ، رغم مايعهد للحسان من أسبـاب الترف والنعيم ، فأى مغنم عاد على الدولة من هؤلاء الفاتنات الناعسات ؟ وأى مثربة جلبنها على الرعية بما يستنزفن من أموال وثروات ! إن ولى الدين ليعكس صورتهن الخلابة فى مرآة شوقى ، فتنقلب فى مرآته دميمة مقيتة ويصور جنايتهن الكبيرة إذ يقول

ضـاعت عقود الملك ما   بين الترائب والنحور
والشيـخ بات فؤاده   فى أسر ولدان وحور
ما زال معتصر الخـدود   هوى ومهتصر الخصور
وإذا انقضت ليـلاته   وصلت بليلات الشرور
أهـدى الفتور لقلبه   مابا للواحظ من فتور
واستنفرته من الرضا   يا كل آنسـة نفـور
تختال من حلل الصبابة   فى الدمقس وفى الحرير
والجنـد عارية مناكبها   مقصمة الظهـور
خمص البطون من الطوى   دقت فعـادت كالسيور
أن الزمان يغر ثم   يذيق عاقبـة الغرور

ثم ينتقل شوقى إلى مناجاة السلطان الأسير ، فيغمره بفيض من عطفه ومغفرته ، وكأنه ينظر إلى أفضاله عليـه ، فيأبى أن يخصه بلوم أو تقريع ، فهو أرفع من أن يشمت فيه شامت ، وأولى أن تراق الدموع حزنا على سقوطه !! وإذا كان قد أسلف بعض الجرائر فالله يعفو عن كثير ، فلا داعى أن نطيل حسابه فى محنته العسيرة . وما كان عبد الحميـد — فى رأى شوقى — إلا خليفة كالمنصور أو الرشيد فى سـالف العصر ، وهما قد حفظا جلال الملك ، وأبهة الخلافة ، وإن استبدا مثله بالأمر ، ولم يخضعا لدستـور أو مشورة ، ثم لايقتصر شوقى على ذلك بل يصف السلطان بالروية والأناة وحكمة العاقل الخبير !! وأى حكمة تلك التى تبطش بالناس ، وتصب الدسائس وتستلب الأموال ! ويعنى أمير الشعراء فى وصف الظلمة الغابرة ، والسلطان السالف ، كأنه يتعزى بذكراها عما أصاب سيده من سقوط ؟ فهو يقول

عبد الحميد حساب مثلك   فى يد الله القـدير
سدت الثلاثين الطوال   ولسن بالحكم القصير
تنهى وتأمر ما بدا   لك فى الصغير وفى الكبير
لا تستشير وفى الحمى   عدد الكواكب من مشير
كم سبحوا لك فى الروا   ح وألهوك لدى البكور
خفضوا الرءوس ووتروا   بالذل أقواس الظهور
ماذا دهاك من الأمو   ر وأنت داهيـة الأمور
أين الروية والأنا   ة وحكمة الشيخ الخبـير
دخلوا السرير عليك   يحتكمون فى رب السرير

أسد هصور أنشب الأظفار فى أسد هصور
قالوا اعتزل قلت اعـتزلت الحكم لله القدير
ضنوا بنصائح حقهم وضننت بالدنيا الغرور

وهذا منطق لا يعجب ولى الدين فى شئ ، فهو يرى السلطان أهلا للوم والتقريع ويجب أن ينال جزاء ما أسلف للناس من محن وأرزاء ، بل أنه ليذكره بالجد البائد تهكما وتشفيا ، ويعجب لغفلته وبلاهته ، وكيف صم أذنيه عن النصيحة ، وسدر فى غوايته مع أن الشيب قد وخط لحيته ورأسه وقضى من الزمن ما يتيح له العبرة والعظة ، لو رزق قليلا من الحكمة والروية .. ويصف المركة الدامية التى انتهت بسقوطه وأسره ، ويضحك منه إذ ضرع أمام الجند ذليلا باكيا وأخذ يستجير بمن أعرض عنه ، حتى ذاق عاقبة ختوره وغدره ، فسقط من عليائه دامى القيد ، منحنى الظاهر ، إلى حيث يقضى أيامه الأخيرة فى محبسه الذليل !! وللقارئ أن يلمس هذا كله من قول ولى الدين

وعظاتك واعظة القتير ورأيت منقلب الدهور
وربيت فى مجد الأمير ولم تمت موت الأمير
لما سلبت الحكم قلت الحكم لله القدير
ورآك جندك ضارعا لهمو ضراعات الأسير
لقد استجرت بمعشر ما كنت فيهم بالمجير
هى غارة لكنها دارت على رأس المغير
من ذا استشرت لها ولم تك فى الحياة بمستشير
لقد استطرت بشر يومك كل شر مستطير
وخترت يا عبد الحميد وما استحيت من الختور
من عاش يستحلى الشرور يموت من تلك الشرور
إن الثلاثين التى مرت بنا مر العصور
وهبتك تجربة الأمو ر فعشت فى جهل الأمور
من كان يدعوك الخبير فلست عندى بالخبير

وقد كان مجال القول ضيقا أمام شوقى فترك عبد الحميد فى منتصف القصيدة ، ولجأ إلى تهنئة الخليفة الجديد باسم الاسلام ومصر ، وأسهب فى مديح الجيش الذى أسقط السلطان منوها بأبطاله وكماته ، وقد يحس القارئ شيئا من التناقض بين الناحيتين ، وذلك هين مقبول من شاعر مجامل يودع راحلا أسيرا ببعض ما يجب فى رأيه من الإغضاء والتسامح !! والمجاملة فى بعض أحوالها توقع فى الحيرة والتناقض دون معابة أو مؤاخذة . على أن ولى الدين يؤاخذ شوقيا مؤاخذه عنيفة ، فهو — فى رأيه — يتحسر على المال المبذول ، والخير الدرير ، إذ يتحسر على عبد الحميد ، وكان عليه أن يقدر فرحة العالم الإسلامي بسقوط الخليفة دون نظر إلى عواطفه الذاتية ! وكأنى بشوقى وقد حز فى نفسه أن يعرض به ولى الدين أعنف تعريض إذ يقول

لما أديل عن السر ير بكاه عباد السرير
نذروا النذور لعوده هيهات يرجع بالنذور
أسفوا عليه وإنما اسفوا على المال الدرير
والبعض كان جريره فسابقيه على جرير (١)
طلبوا له عفو النفور وشذ من عفو النفور

وقد سكت شوقى عن هذا التعريض المرير ، إذ كان يلزم الصمت إزاء ما يوجه له دائما من تجريح ، وقد يكون السكوت من ذهب فى بعض الأحوال .. وأظنه كذلك الآن

ونحن بعدما تقدم من العرض السريع نستطيع أن نحكم على القصيدتين معا بسلاسة الأسلوب ، وغزارة المعانى ، وتنوع الأغراض ، واستقامة التعبير؛ إلا أننا نلمس بين القصيدتين فوارق متعددة من عدة نواح

١ — فقصيدة شوقى أشبه ما تكون بخطبة رسمية تلقى فى حفل عام ، فقد اعتذر فيها أولا عن الخليفة السابق ، ومدح الجيش المنتصر ثانيا ثم هنأ السلطان الجديد بالخلافة ثالثا، وأعلن اغتباط مصر والعالم الإسلامى به رابعا ،! وليس ذلك بمستغرب

---

١ — اشارة لقول شوقى : أنا إن عجزت فان لى بردى أشعر من جرير

من شاعر يعبر عن روح القصر الخديوى ، ويتلقى وحيه الشاعرى من الحاشية والبلاط . أما قصيدة ولى الدين فهى ترجمة أمنية لمواطنيه ، وتصوير شامل لابتهاج المخلصين ، بزوال العهد الغاشم ، دون أن يتقيد فيها بوجهة نظر خاصة ، والشاعر الطليق يجد من اتساع المجال مالا يجده الرهن بالقيود والأغلال ...

٢ — كان شوقى يسير على القتاد فى قصيدته فهو يدعو إلى التسامح والإغضاء عن مستبد جارم لا يعقل أن يتسامح معه الناس ويتلمس الأعذار لطاغية سقطت أعذاره ، وشاعت فى الملأ مثالبه ومخازيه . وطبيعى ألا يجد من الحجج ما يسعفه ويقوى دفاعه ، وعلى النقيض منه كان ولى الدين ممتلئ اليدين بأدلته وبراهينه ، هذا غير شعوره المبهج بانتصار آرائه ، وتحقيق آماله وأشواقه

٣ — بلغ شوقى القمة حين تكلم عن الغانيات فى قصر الخليفة ، وما كان لهن من عظمة ودلال ، وما أسدل فوقهن من بهجة وبهاء ، ورسم ألواحا بديعة للسرور الزائل والنعيم السالف ، بينما بلغ ولى الدين القمة فى ناحية مضادة ، إذ استمع لخواطره الحزينة فأسمعنا ألحانا مشجية تدمع على الضحايا الأبرياء ، والصرعى الشهداء ، وطاف بخياله على الأجساد الثاوية بين الجنادل والصخور ، والزهور المضرجة بدماء شبيبتها الزاهرة ، واليتامى البائسين من الصبية والأرامل . وإنه ليستنزل الدموع الحبيسة من المآقى الشحيحة إذ يقول

لله أجساد ثوت ... بين الجنادل والصخور
كانت زهور شبيبة ... لهفى على تلك الزهور
سقيت مياه دمائها ... والروض رقراق الغدير
كم خلفها من صبية ... يتمت ومن شيخ كبير
يترقبون مآبها ... إن المآب إلى النشور
ومنعمات فى الخدو ... ر تموت حزنا فى الخدور
ترجو زيارة حبها ... نبت الزيارة بالمزور
لم يجدها نصح القبيل ... ولا تسلت بالعشير
أودى الردى بنصيرها ... فغدت تعيش بلا نصير
لا بالمسى تضيق من بث ... ولا عند البكور

وأنا أجد لهذه الأبيات وأشباهها فى قصيدة ولى الدين وقعا مريرا ، ولذعا داميا ، وجودة الشعر تتوقف على ما يثيره فى النفس من كوامن الأحاسيس ، وما يهيجه من حرق الوجدان

(أما بعد) فلقد كان لهاتين القصيدتين الخالدتين دوى ورنين عند نشرهما لأول مرة فى الصحف السيارة ، إذ قوبلتا بكثير من الاهتمام والاحتفال ، وتطلعت إليهما عقول المثقفين من الأدباء . وقد رأيت أن ألفت إليهما الأنظار من جديد . فجلوت هذه الصفحة من تاريخ غير بعيد ، ولله شوقى إذ يقول :

وإذا فاتك التفات إلى الما ... ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

محمد رجب البيومى
المدرس بأبى تيج الثانوية

الأدب وطلقات المدافع

« إلى الصديق الأستاذ على متولى صلاح »

للشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ما كنت أحسب أن شهوة الكلام تبلغ عند صديق الأديب الرقيق الأستاذ على متولى صلاح حدا يحرف به الكلم عن مواضعه ويؤول قصيدتى « على طلقات المدافع » تأويلا يبعد بها عن المعنى الذى أريدتُ له وقصدت به

وأنا أشكر الأخ على هذا الدرس الذى ألقاه على فى عدد الرسالة الفائت ليدلنى على قيمة « الأدب » وخطره ورسالته فى هذا الوجود العجيب الذى نشهد فيه بأعيننا ونسمع بآذاننا على مدى قريب صوت القوة العارمة وهي تكتسح الحق فى طريقها اكتساحا ... ثم لا نزال بعد ذلك نتعلل بالألفاظ الفارغة ، ونستند إلى العبارات الجوف ، واهمين أو متوهمين أن ذلك هو طريق الكفاح لبلوغ الأهداف ، وبلوغ المطاف

وأشكر الأخ مرة أخرى لأنه نقل إلى فى كلمته الحماسية كلمات « هازلت » فى وصف الكلمات بأنها « أفعال ، فإذا تكلمت فقد فعلت » . ونقل إلى كلمات « سارتر » بأنها — أى الكلمات — أسلحة نارية مشحونة بالقذائف ، وأن الإنسان إذا تكلم فقد أطلق .. ونقل إلى — فوق ذلك — كلاما لبرنارد شو ، ولغير برنارد شو فى الموازنة بين السيف والقلم ...

وهى موازنة أخشى أن تكون موضوعا إنشائيا جيلا لطلاب المدارس ، تصول فيه أقلامهم النحيلة الهزيلة ، وتجول حين يحلق الخيال بعيدا بعيدا ، مستسلما إلى لذائذ الأحلام ، الوشاة بتفويف الكلام ...

وهى موازنة — فوق سحر الخيال فيها — قد قال فيها أنصار منطق القوة كلهم حين نادى أبو تمام — منذ أكثر من ألف عام — برأيه المشهور :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ولا يعنينى هنا أن تكون الكتب هنا من تأليف الكرام الكاتبين ، أو من وضع السادة المنجمين . . .

على أن أبا تمام لم يغفل شأن « القلم » الذى جاءنا الأستاذ على متولى صلاح بنصوص منقولة عن « هازلت » و « سارتر » و « برنارد شو » ليدلنا على خطره وفتكه وشحنه بالقذائف . أو القنابل الصاروخية ، أو القنابل الذرية أو الهيدروجينية أو غير ذلك من آلات الدمار والهلاك ..

نعم ! لم يغفل الشاعر أبو تمام ، خطر القلم والكلام حين قال :

لك القلم الأعلى الذى بشباته تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعى القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وأنا — شهد الله — لا أنكر خطر « الكلمة » وفعلها فى النفوس ، وأثرها فى العواطف ، وخطرها فى إثارة الانفعال ، بل فى زلزلة الجبال ..

أليست « الكلمة » هى من روح الله التى تجلت للجبل أمام موسى الكليم فجعلته دكا ، وخر موسى صعقا ؟

أليست « الكلمة » هى التى أوحت إلى النحل أن تسلك سبل ربها ذللا ، فتأكل من كل الثمرات ثم تلفظها شهدا شهيا فيه شفاء للناس ؟

فمن قال للصديق الكريم أننى هونت من شأن الكلام ، أو أصغرت من قدر الأدب والبيان حين ضننت بالأدب أن يبتذل بالاستجلاب ، أو يمتهن بالدعاء المجاب أو غير المجاب ؟

إن الشعراء الصادقين — أيها الصديق — قد استجابوا لأصوات الشهداء فى معركة « القنال » بالقدر الذى لا يخرج بشعورهم الغالى إلى رخص التمثيل ، وهوان التدجيل .. فقد نشر بعضهم فى الصحف ، وأذاع بعضهم فى الإذاعة المصرية ، ولم يشاءوا أن يجعلوا من « معركة التحرير » مناجاة حامية ترتفع فيها الأصوات الحارة بطلب السلاح ، وبالرغبة الخالصة فى الكفاح ، فيقال لهم : انتظروا حتى يتم الإشراف على الكتائب المحررة . .

وما أشق الانتظار ، على المجاهدين الأحرار !

ولعلك أيها الصديق قد أدركت معى الظروف التى أحاطت

بى وأنا أنظم قصيدتى «على طلقات المدافع» ؟ فهى ليست كفرا بالأدب ، ولا جحودا برسالته ، ولا تهوينا من شأنه ، ولا إغفالا لخطره ، ولا سوء فهم لوظيفته ، ولا خروجا به عن طبيعته ... وإذا كنت قد فهمت من قصيدتى ومن مقدمتها هذا الفهم، وعبت منها هذا القول الصحيح، فأنا أجل أدبك وفهمك أن تكون الآفة فيهما .. ولـكنك انسقت يا أخى وراء خلابة اللفظ ، وشهوة الكلام فأحببت أن تتكلم ، وأحببت أن تقيم دعاية عريضة « لرصف الألفاظ ، وحشد العبارات » . ونسيت أنى — وأنا طرف لك فى هذه الخصومة الأدبية — أ كره الكلام فى غير جدوى ، وأمقت الألفاظ فى غير طائل ، وأضع الكلام موضعه حين أريد أن أتكلم ، كما يضع الخبير الحفناء مواضع النقب ..

لا يا سيدى ! لم تـكن القصيدة التى نظمتها كفرا بالأدب ولـكنها فى الحق كفر «بالخطب» ، وكفر بالمقالات والكتب.. فى وقت تمتت فيه سواعد الشباب والشيوخ لو أتيح لهـا أن تشمر ، ولـكن (رئى) أن تعطل السواعد ، وأن تدبج بدلا منها الخطب والقصائد !

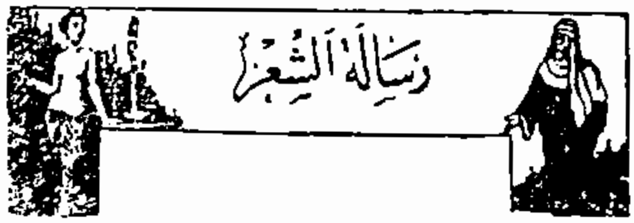
ألست معى بأن نفوس الشعراء أونفوس بعض الشعراء كان يغشها ضباب هذه العوامل النفسية الخفية ، فوقفوا يتفرجون فى صمت ، أو ينظرون فى عجب ، حتى يزاح الستار عن الأسرار . . وإلا فبربك لماذا سكت أنت عن أحداث القناة وما عهدتك إلا ناطقا ؟ ولماذا لم تشترك فى معركة « قتال السويس » بقلمك وأدبك فى لحظة كانت أرواح الشهداء ودماء الأبرياء تتطلع إلى مثل « عباراتك » من وراء الغيب ، وتهفو إلى صرير قلمك من خلف الفراديس ؟

والآن وقد انجلى غبار معركة القتال عن بعض الشهداء الأعزاء أراك قـد أمسكت « القـلم » وامتطى فى يدك الخمس اللطاف .. وأفرغت عليه شباب فـكرك لـكى تذكرنى بما قاله « هازلت » و « سارتر » و « جورج برنارد شو » فى القلم وقوته ، والبيان وسطوته

لا ، لا يا أخى ! لقد قرأت من زمان طويل ما قاله «هازلت» فنازلا ، و « سارتر » فصاعدا .. ولعلك خبير بتسلسل هـذه المصور فى فرنسا وإنجلترا .. ولـكنى قرأت من أسابيع فقط ما كتبه الشاعر الإنجليزى المعاصر « ستيفن سبندر » فى مجلة نيويورك تيمس بوك ريفيو الأمريكية The New York Times Book Review عن رسالة الشعراء فى الحياة ، وهل نستطيع أن نعيش بدونهم .. ولذلك يا أخى قرأت خلاصة لهذا المقال فى عدد نوفمبر سنة ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» الشهرية التى تصدرها دار المعارف بمصر . . ولعله قد لا يعنيك أن تعرف مترجم هذا المقال الذى يستحى أن يتحدث عن نفسه ولـكنى أؤكد لك أن قصيدتى « على طلقات المدافع لم تـكن صرخة يأس ولا صيحة قنوط .. ولـكنها كانت نذيرا ، ونذيرا قويا لقوم يجهلون قيمة « المدافع » ، فى عالم ملئ بالشهوات والمطامع

وسلام عليك أيها الصديق القديم ، والخل الـكريم

محمد عبد الغنى حسن



الفـــدائى

للأستاذ عبد اللطيف النشار

... وعلى الله فاتكل يا فدائى   فهو أعلى يداً من الأعداء
اشترى الله أنفسا نحن منها   فهو أولى بها من الأولياء
إن حيينا فللكرامة والعزة ، والموت غاية الأحياء
أو قضينا فللذى مرجع الكل إليه مستأثرا بالبقاء
والمنايا على اختلاف صواها   كلها دون مصرع الشهداء
فى سبيل الإله نطرد من مصر عدوا مجاهرا بالعداء
لم يدع حرمة يقدسها العالم إلا أصابها باعتداء
وصفيق دعواه فى كل جرم   أنه لم يزل من الحلفاء
آية الود عندهم ما جنوه   والخيانات آية للوفاء
ليس فى عالم الجرائم ذنب   ما جنوه هنا على الأبرياء
احتلال لموطن فيه أهلو   ه وقتل لصبية ونساء
والمحاريب دنسوا وأهانوا   حرمة العدل فى رجال القضاء
واستباحوا الأموال نهبا وسلبا   فى ضياء النهار أو فى المساء
بجنود مسلحين وقطا   ع طريق وطغمة جبناء
هؤلاء الأنذال خانوا المواثيق فماذا ترجوه من هؤلاء
بارك الله أيديا عالجتهم   وسقتهم ذنوبهم فى الدواء
أقحموا فى مواطن العرب الغر   دخيلا من أنجس الدخلاء
فى فلسطين صورة لسواها   إن تراخى أعداؤنا فى الجلاء
صاحب الدار شردوا ليحلوا   غيره فى محله بالكراء
الجلاء الجلاء يا أخبث الناس ضميرا وأسفه السفهاء
يا فدائى مرحبا بالفدائى   أتؤدى فى مصر فرض السماء
فيد الله فوق أيدى رماة   أنقذونا من شر هذا البلاء
ورمى الله إذ رمى مرسل السهم إلى قلب جاحد النعماء
القناة التى يقولون أنا   غير أهل لحفظها شبر ماء
وهو العاجزون عن صونها منا ونفدى مكانها بالدماء
كقام الحسين كل مكان   مستظل بالراية الخضراء
يا قناة السويس يا زمزم الو   ادى ورمز الأخوة السمحاء
قد حفرناك كى تكونى أداة   لرجاء أكرم به من رجاء
صلة من أخوة الناس تزداد اتساعا فى رقة وصفاء
للمودات لا العداوة والبغى وصلنا بالدمع ماء بماء
ومرجنا البحرين تقريب بعد   بين دان من البلاد ونائى
زعموها لنصرهم . أو حقا ؟ وعلينا ...؟ يا أمة السفهاء
لو أردنا وماؤها الملح يحلو كل شئ يحلو ازاء العداء
لشربنا القناة فى بعض يوم   رأ كانا أكبادكم فى العشاء
لو أردنا فإنها حفرة تصلح قبرا لمعشر أشقياء
أو يحمى القناة من يخطف الأطفال منه السلاح دون عناء
ما رأينا ولا رأى الناس من قبل جيوشاً مصفوعة الأقفاء
جيش مصر أعز من حرب هذا   فليؤدبه بالعصى الفدائى

عبد اللطيف النشار

الرماد المعذب

« مهداة إلى صديق الناقد الأستاذ أنور المعداوى »

للأستاذ على الصياد

فى عالم مكفن الضمير   بعثت لا أعلم ما مصيرى
معذب فى زحمة الشرور   وكل ذنبى رقة الشعور
مكحل بليله الضرير   وغيرى نوره من نورى
أسقيته الحلال من عصيرى   ولم أجد منه سوى المسير
مشى بروضى مشية الأمير   يقطف من وردى ومن زهورى
وينهل السلسال من غديرى   وينهب الألحان من طيورى
وفى ربا فردوسى النضير   تعلم النطق من خريرى
ومن عجيب لج فى تدميرى   وقد روى إحساسه عبيرى

تخدعه السندسي في القصور وتخدعي الشوك على الصخور
ويزدهي في الصوف والحرير وهيكلي ممزق الستور
سألته عن ماله الوفير من أين قال من دمي (المهدور)
سألته عن أصله الحقير أصدقني القول بلا تزوير
سألته عن ملكه الكبير أخاله قال إلى الثبور
سألته عن علمه الخطير قال كحفنة من القشور
سألته عن دمعة الفقير قال كنجوى راهب في (الدير)
سألته حتى عن الحبور قال سراب خاطف العبور
فاله يختال في غرور وأصله من الثرى الحقير

***

إني هنا في ليلي المنشور مبعثر المنى على الوعور
شيعت فيه مأتم السرور بين جلال الوحشة المثير
وصرت في ظلامه المضفور محترق الأنفاس والزفير
أبحث بالعينين عن سمير فلم أجد فيه سوى النسور
حاملة في بطنها المنير رسالة القهار للمقهور
يا توأمي في البدء والنشور رفقا بروح شاعر مهجور
جذلان في غياهب الديجور بفجره المفضض المنير
يغربل الأنام بالتفكير وكلهم نفاية القدور
أنا كتاب حالك السطور معجب البيان والتصوير
مزقه الناس بلا شعور في معبد من الأسى مهجور
وكفنوه في دجى التحقير وهو نتاج المبدع القدير
غدا يشع كالسنا الطهور مذهب الأسرار والتفسير
وسوف يبقى عبقري النور في ظلمة الأجيال والعصور

علي الصياد

الأمس الضائع

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

أفلت الأمس من يدي لم يهدهده موعدي
وغفا حاضري فـوا لهف نفسي على غدي

. . .

كنت أشتاق للدمى والمساء المربد
فأماني صبوة لحبيب مفرد
وحياتي مشارق اصباح منضد
وإذا القلب يحتوي فجأة كل فرقد
شاكه اليأس فانطوى رهن ماض مبدد

. . .

كنت أرتاح للقصيد كجنات عسجد
يتصباني القريض بوحي مجدد
فأناجيه حالما ببيان مخلد
وأجاريه لا أني كمحب مسهد
وإذا بي أعافه بعد ما كان مقصدي

. . .

كنت أستقبل الصديق كشاد مردد
مغرقا في تلطفي ممعنا في توددي
أغزل الود من فؤا دي وأسقيه موردي
ثم إذ غالني الأسى والأسى خير مرشد
عدت والبين غالبي قانعا بالتوحد

. . .

كنت للمجد عاشقا كلفا بالتوحد
أتحرى طلابه رائحا ثم مغتدي
فيه تجلى سعادتي فيه ريي وسؤددي
ثم إذ شمته بريقا لجان مخمدا
لم أعد بعد راضيا بالذي كنت أجتدي

. . .

أفلت الأمس من يدي لم يهدهده موعدي
وغفا حاضري فـوا لهف نفسي على غدي!

مكة حسن عبد الله القرشي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

رسالة الجنوب الى الشمال :

يا أخي في الشمال ، يا أخي في الله والدين والوطن . . باسم كل أخ لك في الجنوب ؛ باسم كل سوداني كريم على نفسه وكريم على وطنه ، يطيب لي أن أوجه إليك الحديث كما وجهته إلينا على صفحات الرسالة ، حافلا بصدق الوطنية ، زاخرا بعمق الأخوة ، ملتهبا بحرارة الإيمان !

حقا يا أخي إننا في « ميدان الجهاد يد تمد إلى يد ، وفي معرض التضحية قدم تسعى إلى قدم ، وفي مجال الوفاء عاطفة تقبس من عاطفة » .. ولله ما كان أصدقك وأنت ترسل صرختك المدوية التي أيقظت كل ضمير وهزت كل شعور : « إن الشمل لن يتفرق ، وإن البناء لن يتصدع ، ما دامت هذه القطرات الأبية من الدم المسفوك على ضفاف القناة وفوق ثرى الخرطوم ، قد ألقت على الطغاة أروع الدروس في التضحية والبذل والفداء ، وأقلقت منهم المضاجع وهي سارية في العروق وهي جارية على الأرض ، وهي في حركة الحياة الطليقة وهي في سكون العدم » !

أجل يا أخي رددها إذا شئت ، فقد رددناها معك باللسان وحفظناها في قرارة الوجدان ، واتخذناها شعارا للأخوة المقدسة التي « استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد » . . إنني لا أجد خيرا من كلماتك لأعيدها إليك ، مضمخة بعطر الجنوب مدثرة بوشاح هواه ، لأن « أنشودة الجهاد التي بدأ نغمها في شمال الوادي قد أذن الله أن ترسل أنغامها في جنوبه ؛ وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان . . ولكن أنغامنا وهي أنغامكم ستظل إلى الأبد ترن في مسمع الزمن ، ولكن نارنا وهي ناركم ستظل إلى الأبد تنير الطريق للحائرين ، ولكن ذكرانا وهي ذكرا كم ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطرا يفوح » !

إن معاول الاستعمار التي تحاول أن تهدم صرح الوحدة ، وإن قوى الشر التي تحلم بأن تهيل عليها التراب ، ستمنى آخر الأمر بالخيبة وتبوء بالخذلان ، لأن ما بنته يد الله لا يمكن أن تنال منه يد الشيطان . . إن هذه الوحدة الطبيعية يا أخي ، هذه الأرض التي تجمعنا ، هي إرادة العمل الرزين والتحرر التام . إننا هنا لتطربنا أصواتكم ، أصوات المؤمنين بحق الشمال والجنوب في حياة حرة كريمة ، قوامها الوفاء الخالص وعمادها الإباء الخالد . أما أصواتنا فهي تعانقكم في كل أفق ، وتصافحكم في كل طريق ، وتناجيكم على أوراق الصحف وأمواج الأثير . . ولن ننسى صوتك وصوت شاعركم الخالد وهو يقدم إلينا لوعة الشعر في محنة الشعور :

فكيف تلاحيني والحاك إنني شهيدك في هذا وأنت شهيدي
حياتك في الوادي حياتي فإنما وجودك في معنى الحياة وجودي !

مرة أخرى يطيب لي أن أستعير من كلماتك ما أوجهه إلى كل أخ في الشمال : « ولا علينا يا أخي من تلك القيود ، إن معدنها الرخيص سيذوب يوما تحت وهج النار المتأججة في حنايا الضلوع . . وسنمضي اليوم وغدا جنبا إلى جنب ، وقلبا إلى قلب ، وعيوننا أبدا إلى الأفق البعيد » !

أخوك في الجنوب

« دروهيب — السودان » **حسب الله الحاج يوسف**

هذه الرسالة الكريمة لم تكن الوحيدة التي تلقيتها من أبناء الجنوب ، وإنما تلقيت من أمثالها الكثير . . وأكتفي اليوم بنشرها لأنها نفحة شعور تعبر عن نفحات ، وخفقة قلب تنوب عن خفقات ، حين تغني الدلالة الوحية في مثل هذا المقام عن كل سرد وإحصاء !

إننا نعلم حق العلم أن أصواتنا تملأ أرجاء الجنوب وتتردد في حنايا الصدور ، رغم الضجيج المنبعث من أبواق المرجفين . . إن صوت الحق لا بد أن يرتفع فوق صوت الباطل ، وإن منطق العدل الحبيب لابد أن يطغى على منطق الظلم البغيض ، وإن نداء الحرية لابد أن يبلغ الأسماع وإن حالت بينه وبينها السدود والقيود ا

إننا حين نتوجه بدعوتنا المخلصة إلى أبناء السودان ، ندرك كل الإدراك ما تكنه لنا الكثرة الغالبة من إخاء يسمو على الترغيب ووفاء يعز على الترهيب ؛ لأننا نعيش على ضفاف النيل ولا نعيش على ضفاف التاميز ، ونتحدث بلغة القرآن ولا ننطق بلغة الطغيان ، ونفخر بالوجوه السمر حين يفخر غيرنا بالوجوه الحمر .. الوجوه الصفيقة التي لم تعرف في تاريخها الطويل حمرة الخجل من ضيعة الضمير وانحطاط الشعور بالإنسانية ! !

إنهم ، أصحاب الوجوه التي تصطبغ بكل حمرة غير حمرة الخجل ، يؤكدون أن سر بقائهم اليوم في السودان هو حمايته من الاستعمار المصري .. وهم ، هم أنفسهم ، أصحاب المنطق الذي يتحدث بكل لغة غير لغة الحياء ، يؤكدون أيضا أن سر بقائهم في مصر هو حمايتها من الاستعمار الروسي ! وفي سبيل درء الخطر عنا ، نحن « أصدقاءهم » في الجنوب و « حلفاءهم » في الشمال ، دوى الرصاص يمزق الأجسام على ضفاف القنال وبلهب الرءوس فوق ثرى الخرطوم .. ولم يكن الرصاص الذي أصاب السودانيين مصريا أو الرصاص الذي أصاب المصريين روسيا على التحقيق ، وإنما كان رصاصا بريطانيا « صديقا » وقفت من ورائه الوجوه « الحليفة » ؛ الوجوه الحمر التي اكتسبت لونها على مر الزمن من دم الأحرار في كل مكان !

لقد وقف أندريه فيشنسكي فوق منبر الأمم المتحدة ليندد بصور الوحشية البريطانية في شمال الوادي ، ووقف من قبله محمد صلاح الدين ليندد بمظاهر الهمجية البريطانية في جنوبه ؛ والأول إذا لم تكن تعلم هو وزير خارجية روسيا الذي يتهمه الإنجليز بأنه يتطلع إلى احتلال مصر ، والثاني إذا لم تكن تفهم هو وزير خارجية مصر الذي يتهمه الإنجليز بأنه يهدف إلى احتلال السودان .. ولا تعجب لمثل هذا الاتهام حين يصدر من منطق اللصوص ؛ اللصوص الذين يسيرون إلى القمن منطق ذلك اللص الخالد في جرأته الخالدة ، حين سمع وقع أقدام تقترب فرفع من صوته « الأبي » وكشف من وجهه « الحيي » ، ليقول لرجل البوليس في غير تلعثم ولا اضطراب : « مين اللى ماشي هناك » ؟ !

ماذا تقول لهذا المنطق ؟ منطق قطاع الطرق حين يستخدمون لغة المحافظين على الأمن والساهرين على النظام ؟! لقد تحديناهم من فوق منبر الأمم المتحدة على لسان صلاح الدين ، تحديناهم أن يعرضوا على السودانيين استفتاء حرا بعيدا عن قوة البطش وسطوة الإرهاب ، ليسمع العالم صوت الجنوب منبعثا من أعماق القلوب .. تحديناهم فصمتوا صمت القبور ، لأنهم يعلمون إذا قبلوا التحدي ماذا ينتظر حكمهم « العادل » من مصير ! صمتوا ونطقت شركات الأنباء حين نقلت إلى صحف العالم قصة الأيدي المصفقة لصلاح الدين ؛ أيدي الأعضاء الذين هزهم صوت الحق فخيوه وهم وقوف .. ومع ذلك فلم يحرك صوت الأيدي المصفقة صمت الوجوه الصفيقة ، لأنها لا ترهب غير صوت الحديد والنار !!

هذه العبارات الأخيرة هي التي نود أن يفهمها طلاب الحرية في الشمال والجنوب .. لقد فهمها الأمريكيون بالأمس البعيد فاستخلصوا من الذل كرامة ، وفهمها الأيرلنديون بالأمس القريب فخلقوا من العدم حياة ، وفهمها اليهود آخر الأمر فأقاموا من الوهم دولة ! ولقد كانت اللغة الوحيدة التي خوطب بها البريطانيون هنا وهناك ، كانت كما قلنا لغة النار والحديد .. وإنها في منطق الحرية لأشرف اللغات ، في كل حاضر وآت !!

معالي وزير المعارف والاستعمار الثقافي :

في العدد الأسبق من « الرسالة » كتبت مقالا عن موقفنا من الاستعمار الثقافي بدأته بهذه الكلمات : « ما هو موقفنا اليوم من الاستعمار الثقافي ؟ سؤال يتردد في الأذهان ومن حقه أن يتردد ، ويستقر على كل لسان ومن حقه أن يستقر ، ويوجه إلى معالي وزير المعارف ورجاء السائلين فيه أن يجيب » !

قلت هذا ثم أبديت رأيي فيما يجب أن يكون عليه موقفنا من اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية ، بعد أن لقي المصريون من نذالة الإنجليز ما نطقت به الأقلام والأجسام ، هذه بدمائها وتلك بمدادها في معرض الثورة على مظاهر الظلم والغدر والطغيان .. أبديت رأيي ملخصا في هذه السطور : « هذه اللغة وتلك الثقافة كلتاهما تحتل مكانها المقدس في المدارس والجامعات ، فلم لا نستبدل بها لغة الألمان وثقافة الألمان ، أو لغة الروس

وثقافة الروس، أو لغة الفرنسيين وثقافة الفرنسيين ! لم لا نقول والمعنى البعيد كامن وراء هـذه الـكلمات ؟ المعنى البعيد الذى يتمثل فى كرامتنا حين نكون « أحرارا » فى اختيار لغة أخرى غير لغة الخصوم، وتفضيل ثقافة أخرى على ثقافة الأعداء » ؟!

كتبت هذه الـكلمات كما سبق أن قلت، فى عدد « الرسالة » الذى ظهر فى اليوم السادس والعشرين من نوفمبر .. وفى اليـوم الثالث من ديسمبر، أى بعد ذلك بأسبوع واحد، طلعت جريدة « الأهرام » على القراء بهذا النبأ : « قرر معالى وزير المعـارف أن تكون اللغات الأوربية التى تدرس فى المدارس الثانوية طبقا لقانون التعليم الثانوى الجـديد هى : الفرنسية والإنجـليزية والألمانية والإيطالية، على أن تكون إحـدى اللغتين الأوليين أصلية، وإحدى اللغتين الأخريين إضافيـة، وأن يبدأ تنفيذ هذا القرار بمدارس القاهرة والإسـكندرية هذا العام، ثم يتم تعميمه تدريجا .. وطلب معاليه إلى الهيئات الثقافية فى السفارة الإيطالية والمفوضية السويسرية ترشيح مدرسين للغتين الإيطالية والألمـانية » !

هذا هو النبأ الذى نقلته « الأهرام » إلى الجمهور القـارئ منذ أيام .. ولقد كنت أود وقد تفضل معالى الوزير فحقق بعض الأمل الذى تطلع إليه هذا القلم فى رغبته ؛ كنت أفضل ألا يكون للغة الإنجليزية مثل هذا المقام « الأول » أو المكان « المحترم » بين غيرها من اللغات، وأن تجد اللغة الروسية مكانا إلى جانب اللغتين الجديدتين وأعنى بهما الألمانية والإيطالية ! إننى لا أستطيع أن أنكر هذه الخطوة الموفقة لمعالى وزير المعارف، لأنها تحمل فى أحشائها جنين تلك الفكرة التى جعلت منها المحور الأصيل لما كتبت، وأعنى بها فسح المجال للغات أجنبية أخرى تشعرنا بأننا « أحرار » فى الاختيـار، ولسنا مرغمين على قبول لغة بعينها خضوعا لرغبة مستعمر عقـدنا العزم على التخلص من آثاره وأوزاره !

إن هذه الخطوة « تحمل » فى أحشائها « جنـين » تلك الفكرة ؛ ولـكننى كنت أرجو أن « تضع » لنا « مولودا » مكتمل الخلقة واضح القسمات .. مهما يكن من شئ فإن لمعالى وزير المعـارف وجهة نظره التى أملت عليه مثل هذا القرار ؛ ولـكننى مازلت أطالب بألا يكون للغة الإنجـليزية مثل تلك « الأولوية » التى اكتسبتها فى رحاب هـذا الوضع الجديد ! وأود أن أقترح — مادام معاليه يريد الإبقاء على تلك اللغة — منح الحرية للطلاب فى اختيـار لغتين من تلك اللغات الأربع، ولا بأس من أن تكون إحداهما أصلية والأخرى إضافية ؛ أعنى ألا يكون هناك « إرغام » على أن تكون لغة بالذات فى المقـام الأول .. ولعل الهدف الذى أرمى إليه واضح لا يحتاج إلى تفسير، حين ألخصه فى كلمة واحدة هى « الحرية » .. الحرية فى اختيار اللغات والثقافات !

أما اللغة الروسية والثقافة الروسية فلنا إليهما عودة فى المقال المقبل، حين نعرض لموقفنا من الاتحـاد السوفيتى كدولة لا كنظام من نظم الحـكم، تبعا لموقفه منا فى هذه الأيام !

أسئلة من القراء :

سألنى بعض القراء عن المعنى الذى رميت إليه من وراء هذا التعبير : « أشهد أن تلك اللغة ليست أشرف اللغـات » ، حين كنت أتحدث عن اللغة الإنجليزية وأطالب بإلغائها فى المدارس والجامعات .. ثم انتقل بعضهم من هذا السؤال إلى سؤال آخر: ما هى ضوابط اللغة الشريفة فى رأيكم ؟!

وردا على حضراتهم أقول : إننى ما عمدت إلى هـذا التعبير إلا وأنا أرمى من ورائه إلى السخرية أو « التريقة » .. ولعل المفتـاح كامن هناك، فى ذلك التعبير الآخر الذى يسبق هذا التعبير حين قلت : إن اللغة الإنجليزية تحتل مكانها « المقدس » فى المدارس والجامعـات .. ومن هنا يكون هدف السخرية المقصودة هو لماذا تقدس هذه اللغة تقديس القيم الشريفة، وهى ليست من هذا المعنى الأخير فى شئ ؟!

أما بقية الأسئلة وهى لحضرات الأدباء : منير آل ياسـين ببغداد حول « الشعر المرسل أو الشعر المنثور » ، ومحمد رفعت الدوبانى بالقاهرة حول « مسرحيـة دنشواى الحمراء » ، ومحمود سلطان البدراوى بأسيوط حول « الأساليب الأدبية » ، والباقى أحمـد السكرى بكفر الشيخ حول « الاستعمار الثقافى » .. فإن موعدى مع الإجابة عنها فى المقال المقبل إن شاء الله

أنور المعداوى



« ديوان رسالة المشرق »

لمحمد اقبال

تعريب الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وديوانه « اللمعات » للدكتور المعرب

للاستاذ عبد المنعم خلاف

منذ أن عرفنا كفايات (الدكتور عبد الوهاب عزام) الأستاذ بكليـة الآداب بجامعة فؤاد والعالم الباحث الأديب ، ومن بينها كفايته الممتازة فى حذق الفارسية والتركية والأوردية، وأنا أسائل نفسى والناس : لماذا لا تنتفع الدولة والهيئات الاسلامية والجهات الأدبية بجهد هذا الرجل وفضله فى توثيق عرى الأخوة والصداقة بين شعوب هذه اللغات وبين مصر خاصة والعرب عامة ! فإن ما يفعله مثل هذا العالم الأديب المدرك فى توطد العلاقات بين هـذه الأمم والشعوب أعظم وأفضل بكثير مما تفعله تلك العلاقات التقليدية الرسمية المحدودة القائمة على الدبلوماسية المصرية التى لا تجد مثل هذه الكفاية فى أغلب الحالات ، وإن وجدتها فأخلق بها أن تضيعها فيما تضيع من مواهب ومصالح ومعان ...

حقا كان هذا السؤال يشغلنى منذ عشرين سنة ، وما كنت أظن أن ما أرجوه وأسأل عنه سيتحقق ؛ لما كنت أراه من انصراف مصر الرسمية ، إلى ما قبيل هذا العهد، عن التوجه للشرق الاسلامى وشعوبه وعلاقاته ، واتجاها صوب الغرب لتكون منه ولو فى موضع الذيل .. وكان هذا وحده يشرفها فى نظر تلك الطبقة الممسوخة التى ضيعت كل شىء حتى نفسها .

ثم تداركنا الله بلطفه فأظلنا ذلك العهد الذى ابتدأنا نتحرر منه من نظرات الممسوخين المصروفين عن الخير الكامن فى الشرق الاسلامى، وتدرك بعض الحقائق عن أنفسنا وعلاقاتها الأصلية بالأمم الاسلامية والشرقية، وكان الانتفاع بمواهب الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى توطيد تلك العلاقات من مفاتح هذا الاتجاه .

وأى انتفاع فى السفارة بين الأمم اعظم من القيام بجانب السفارة الدبلوماسية بالسفارة الفكرية وتعريف كل من الطرفين بعقل الآخر وروحه ومزج العقلين والروحين من طريق الترجمة والنقل للآثار الأدبية الموجهة للحياة ؟ !

• • •

لقد عرب الدكتور عبد الوهاب بك ديوان « پيام مشرق » أو رسالة الشرق للشاعر الفيلسوف محمد إقبـال ، الذى كان قيام دولة الباكستان لمحة من لمحات خاطره وشاعريته ، أوحى بها إلى مسلمى الهند فى خفقة من خفقات الالهام الذى يخلق الأحداث الجسام ويغير وجه التاريخ، فما لبثت أن تلقفها منه (رابطة مسلمى الهند) على يد البطل الحديدى رجل الكفاح والصبر (محمد على جناح) الذى نفخ فى عزم بنى دينه حتى خلقت باكستان فى لحظة من لحظات التاريخ الحاسمة المسعدة . .

ولقد عرفت روح الدكتور المترجم روح الشاعر الملهم من قبل أن نتعرف إلى أرضه ودياره ودولة أحلامه التى تحققت بعـد وفاته بوقت قليل .

ولست بصدد تقديم الدكتور عزام بك بوصفه مترجما أديبا عالمـا أصيل الديباجة العربية عميق الإدراك مشرق الروح أمين الآراء فذلك منى جرأة لا تحمد ، بعد أن عرفته العربية علما من اعلام الفكر والقلم واللسان .. ولست كذلك بصدد عرض ديوانى رسالة الشرق واللمعات ونقدهما النقد اللائق بهما .. وإنما أنا الآن بصدد التنويه بظهور هذين الأثرين الفكريين فى ثوب من الشعر العربى المبين .

• • •

فى (رسالة المشرق) تحليق فكر ورفرفة روح ؛ فإن إقبالا من الشعراء الفلاسفة الصوفيين الذين تزدوج فى نتاجهم العشق الصوفى بالعلم ازدواجا ينتج تلك « الحلقة المفقودة » من الآداب

الرفيعة التي يتمثل فيها جلال الانسانية وسموها ووقوفها في نصابها الأعلى .. وفيه كثير من الومضات التي يمتاز بها الشعر الصوفي ، قد تظهر صورا واضحة أو رموزا مبهمة أو ضبابا .

وفيه توجيهات عقلية ودينية في صور من الأمثال المضروبة على ألسنة الحيوان والنبات والجماد . وفيه تلك الخواطر الوجدانية المشتعلة ذات الجذوة الحمراء والمبتردة ذات الجذوة البيضاء ...

وحسبي أن أذكر المذهب الذي سلكه إقبال وهو يتضح في تلك المحاورة التي أجراها بين العشق والعلم .

العـــلم :

أنا سر الكواكب والجهات ... وفي قيدي ثوى ماض وآت
وعيني حـــدقت فيما أمامي ... وما نظري وراء السابحات ؟
وكم نغمت في عودي وبوق ... وأسراري عرضت بكل سوق

العشق :

بسحرك سجرت هذي البحار ... وملء الجو سمك والشرار
وكنت لي الصديق فكنت نورا ... ونورك مذ هجرت حماي نار
ولدت الأمس في حرم الرحيم ... وصرت اليوم في قيد الرجيم
هلم فرد روضا ذا اليبابا ... ورد مشيب دنيانا شبابا
هلم بذرة من نار قلبي ... أقم في الأرض فردوسا عجابا
كلانا الدهر خل لا يجور ... للحن واحد بم وزير . . .

ألست ترى في هذه الأبيات أمل الانسانية المفقود الذي ما فتئت نفوس المخلصين تتطلع إليه وهو قيام حياة يعرف فيها للعلم مكانه؛ ولمنطق القلب وشفافيته ورحمته وعشقه للمجهول فكأنه ؟ وألست ترى مشكلة العلم تتلخص في أنه لا يزال يولد في نبضة من نبضات رحمة الله الرحيم بالانسانية فما يلبث أن يتلقفه الشيطان الرجيم فيدمر به العامر، ويعبث به من يتطلع إلى الرحمات المرسلة ؟

ثم ألست تراه يضع العلم والعشق حيث يجب أن يوضعا معا في خلة صادقة لا تجور ولا تطغى ، كأنهما وتران في قيثارة يجب أن يتوازن التوقيع عليهما حتى ينتجا نغما فيه ذلك (الهرموني) والانسجام الموسيقى الذي يثير في النفس أطرابها وأشواقها ؟!

وإقبال بهذا الاتجاه الصحيح المزدوج رائد من رواد الفكر الاسلامي الحديث، أنقذ به مسلمي الهند من آثار السلبية والانطلاق الشعري الصوفي اللذين يغلبان على فلسفات الهنود، ويشل قوى العقل والعمل ويحرم الانسان من الانتفاع بالقوى المادية، وانقذ بذلك عددا كبيرا من المسلمين الهنود الماديين المحدثين الذين لا يؤمنون بغير العقل المادي على الأسلوب الغربي الحديث الذي لا يؤمن بما وراء المادة فردهم إلى حظيرة الاسلام بعد أن علموا نظرته المزدوجة إلى الوجود .

وهو كغيره من الصوفية لا يعول على العقل وحده وإنما يكبره حينما يصحب العشق ويفنى فيه . والعقل عند الصوفية عاجز جبان لا يدرك الحقائق الكبرى ولكن يتصرف في الجزئيات .

يقول إقبال :

العقل يحرق عالما في جلوة منه تغير
لكنه بالعشق يعرف كيف في الدنيا يسير
العشق في الأرواح يخلق كل لون أو يثير
بالعشق ترتاح القلوب وإنه فيها سمير
أنصت لقلبك ساعة فلعلما يدنو المسير

* * *

لقد قدم المترجم للديوان ولمؤلفه مقدمة وافية بالتعريف بالشاعر وفلسفته وعرائس شعره ومصادر ثقافته؛ وبين طريقته في الترجمة بما جعل هذه المقدمة من نماذج الدراسة الأدبية التي تدور حول الشاعر وعصره وعناصر تكوينه .

* * *

ألحق بديوان (بيام مشرق) « اللمعات » وهو خلاصة فلسفة الدكتور واتجاهاته وتوجيهاته وصدى لالتقاء هذين الروحين الكبيرين اللذين جمعت بينهما الأذواق والأشواق الصوفية والدراسات العميقة لآثار شعراء التصوف من الفرس والترك . والاتصال الوثيق بالدراسات الاوربية . والحضارة الغربية والفهم العميق للاسلام وروحه وعقائده

وقد أهدى المترجم هذه اللمعات إلى إقبال اعترافا بفضله إذ شرع في نظمها عقب قراءته لمنظومتي إقبال (أسرار خودى) أي أسرار الذاتية و (رموز بي خودى)

« واللمعات » لطيف الحجم ولكنه ملىء بالتأمل والهيام الصوفى وقضايا من العقل الواعى ، وخلوص النفس من الشوائب والقيود ، استنهاض القوى الذاتيـة ودفعها نحو الكمال والقوة والحرية وأشراف الأمور ، والأحكام الصادقة على الاخلاق والأعمال ، والتوجيهات الموفقة للشباب .

وحسبى أن أسرد عليك أبياتا من بعض قصائده لترى الآفاق التى رادها : لقد افتتح الديوان بعجالة بدون عنوان سار فيها على درب الصوفية وحشد فيها كثيرا من الخواطر والصور والتوجيهات منها:

كنت سطرا لم يفسره أحد   خطه فى غيبه الله الصمد
فى ضميرى كل معنى مبهم   حرت فى الاعراب عنه بالكلم (١)
قد نوى العالم فى قلبى وما   خط شىء فيه إلا الحرف ما

فهو هنا صوفى رمزى أصيل تدفعه قوى العشق والاستغراق فى التأمل

ثم يسير على درب القوم وكأنك تسمع إلى الشهرزورى فى قصيدته الرائية :

لمت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادى وحار الدليل

إذ يقول :

ياليلى أوقدى ، طال المـدى   أوقدى هل على النار هدى
أوقدى ياليل قد حار الدليل   أوقدى النار لأبناء السبيل
ارفعى النـار وأذكى جمرها   هل هذا الركب يمشو شطرها
شردى هذا الظـلام الجاثما   أرشدى هذا الفراش الحائما

ثم يأخذه الهيام بنشوته فيصور انطلاقة من انطلاقات نفسه

رن فى آفاقنا هـذا النداء   فأممنا البيت يحدونا الرجاء
قد غنينا عن مبيت ومقيل   وعن الأمواء والظل الظليل
وعن الرغبة والخوف سوى   خلع النعلان فى وادى طوى

* * *

كل حر ضاق عنه الوطن   وانطوى دون مناه الزمن
كل طيار على متن الفكر   وعلى متن هيـام لا يقر

ثم يعود بعد هيامه فى عالم الرموز إلى عالم الصور الكبيرة للذاتية الإنسانية الكاملة فى الإسلام

حبذا الصوت فى هذا البشير   ومن الهاتف بالقلب الكبير
ومن المسعد فى هذى الهموم   ومن البارق فى هذى الغيوم
ومن الهابط فى نور السما   هاويا فى الأرض جيلا مظلما
ومن الهادى إلى أرض الحبيب   يعرف النهج وقد حار اللبيب
ومن السائق شطر الحرم   وإلى الأصنام سير الأمم
ومن القارئ فى بيت الصنم   سورة الإخلاص فى هذا النغم
ومن الحر الذى قد حطما   من قيود الأسر هذا الأدهما
ومن الباعث فى ميت الأمم   ثوره العزة من هذى الهمم

ثم يمضى الدكتور الشاعر على هذا النهج الواضح المشرق فى قصائد الديوان التوجيهية تحت أمثال العنوانات الآتية : (صغار الهمم) (العالم معبد) (لارهبانية فى الإسلام) (معنى التوكل) (الأمل) وفى هذه القصيدة الأخيرة معان ووصايا يجدر أن توضع دائما أمام عيون قادة البعث الإسلامى لتجدد من عزمهم وتشحذ من هممهم ليواصلوا كفاحهم فى ظل من روح الله الذى يطرد اليأس آفة الآفات لجهاد حياة الظلام

لا ترانا فى جهاد نيأس   ليس من أمتنا من ييأسوا
أشعل الإيمـان فى كل دجى   واقدح العزم إذا الهول دجا
وصل القلب بخـلاق الرجاء   واخلقن فى كل حين ما تشاء
إنمـا الإنسـان فكر وعمل   يصدع الظلماء فى نور الأمل
أمل الإنسـان فى القلب ضياء   وهو فى الكف جهاد ومضاء
وقضاء الله عون الآملين   وهو فى عون الأباة العاملين

* * *

هذه عجالة من الديوانين ، الخالصين للحق والقوة والجمال ، الزاخرين بجواهر المعانى الإسلامية يقدمها الشاعران نماذج لما فى القلب الإسلامى من مدخرات للانسانية الضالة الهابطة المعذبة.

يجدر بوزارات المعارف فى ديار الإسلام أن تضعهما أمام عيون النشء كما تكثر من وضع آداب « الترف » المقل وعليق الغرائز ، والتصوير المكشوف للآفاق المنحطة من حياة القطيع .

وقد نشر الديوانين (جمـاعة إقبال) فى (كراتشى) بالباكستان فى مجلد أنيق على ورق فاخر كأنه ورق الورد رونقا وبهاء.

عبد المنعم خلاف

(١) لم يكن العالم فى قلبه إلا نفيا

البريد الأدبي

مرحبا بطلائع المجد

أزعجت المستعمرين هذه اليقظة الشاملة التي انتظمت الشعوب الإسلامية جميعا ، وهالهم أن يروا هزة الحياة تنطلق في ربوعها الممتدة ما بين قرني الدنيا ، فهب من رقادها كما تهب الأسود ، لترحض عنها عار الذل ، وتستعيد حياة العزة والكرامة .

وإن الشعوب الإسلامية حين تندفع في هذا السبيل الجديد لتستجيب في ذلك لنداء دينها المنبعث من أعماقها ؛ ذلك الدين الذي جعل الإيمان والعزة حليفين لا يفترقان ، وأضاء للمسلمين بنور تعاليمه نجاح الحياة ليتخذوا طريقهم إلى بعيد الغايات في ثقة وأمن وسلام . وإن جذوة الحياة لتكمن في أعماقهم . وإن طال عليهم الخمود . إنها الروح التي تصرح بها الآية الكريمة (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) فظاهر الحياة الجديدة التي تبدو في الربوع الإسلامية اليوم تتصل أسلاكها بهذا المصدر القوي الذي يمدها بالقوة ، ويرفدها بالحرارة ، ويمنحها الدوام والخلود .

هذه المبادئ الخالدة ، وتلك التعاليم السامية ، وهذه التشريعات الحكيمة الرحيمة هي روح الحياة في المسلمين ، وعنصر بقائهم ، وسر قوتهم وتماسكهم ، تصلهم بأمدادها ، وتهديهم بإشراقها ، وتدفعهم بتيارها ، ولن يتوقف موكبهم عن السير إلى غايته ما دام يستند إلى هذه القوة الروحية الخالدة ، ويندفع بتلك الطاقة السماوية الجبارة . شهد بذلك التاريخ الماضي ، ويشهد بذلك التاريخ المعاصر : فهذه باكستان وأندونسيا وإيران وهذه مصر ... وسترى ما سيفعله العراق وشرق الأردن والشمال الأفريقي .

أيها الأمم الساعية لمجدها المنطلقة لغايتها ... لا تلتفتوا إلى الوراء ، ولا تتوانوا في السير ، ولا تقفوا دون الغاية ، ولا تخشوا سوءا ، ما دمتم تسيرون على هدى الله .

فرشوط — عبد الفتاح محمد عمار

هنة لغوية :

قرأت في العدد — ٩٥٨ — من مجلة الرسالة المجيدة قصيدة بعنوان (تذكري) للأستاذ الشاعر ابراهيم محمد نجا استعمل في أحد أبياتها (ظل وريف) كما يأتي :

وإن عمري في هواك انطوى كما انطوى في القيظ ظل وريف

واستعمال (ظل وريف) استعمال شائع خطأ ، والصواب ظل وارف . هذا ما أردت التنبيه إليه وعلى الأستاذ الشاعر التحية وسلام .

كلية الفنون — بغداد — عبد الحميد الرشودي

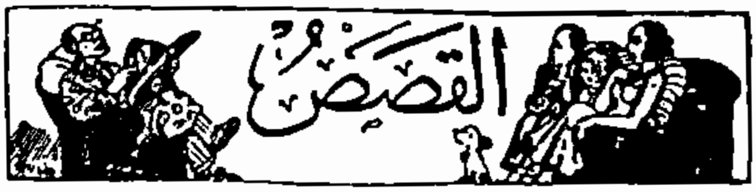
إعتاب وعتاب :

جاء في الأدب والفن في الأسبوع الماضي ما يلي : « وإني أعتب على الأستاذ الفاضل » بصدد مناقشة الأستاذ أحمد محمد بريري . والجملة في الأصل الذي كتبته هكذا : « وإني أعتب الأستاذ الفاضل » ويظهر أن جامع الحروف بمطبعة الرسالة ظن أني تركت « على » سهوا ، فأثبتها هو مشكورا على حسن نيته .

والغرض من الجملة هو الإقرار بالحق في العتاب الذي وجهه إلى الأستاذ فيما يختص بالخجل من الخطأ ، فقد جاء ذلك مخالفا لما أجتهد أن أجري عليه من الاهتمام بموضوع المناقشة وتجنب ما يمس مناظري .

قرأت بعد كتابة ما تقدم ردا للأستاذ محمد فار في الأساس (٤ — ١٢ — ٥١) لم أجد فيه ما يستدعي معاودة الكتابة ، فإذا كان لدى الأستاذ البريري نفسه شيء في هذا الموضوع فأنا في انتظاره . وله تحيتي واحترامي .

عباس خضر



صـــــائدة النمور

للكاتب الإنجليزي ساكي

كان من أقوى بواعث السرور إلى مسز باكاتيد ومن أشهى أمانيها أن تصطاد نمرا ، لا لأن شهوة القتل قد استولت فجأة على نفسها ، ولا لأنها شعرت بأنها تترك الهند — عند مغادرتها إياها — آمن وأهنأ مقاماً مما وجدتها عند قدومها إليها إذ هي أنقصت من عدد وحوشها الضارية بنسبة جزء من من وحش إلى مليون من السكان ؛ إنما نشأت هذه الرغبة الفاجئة الملحة في اقتفاء خطوات ذلك الوحش المرود على أثر ما سمعته عن لونا بمبرتون التي ركبت منذ عهد قريب طيارة مع أحد الطيارين الجزائريين قطعت بها في الجو أحد عشر ميلا ؛ ولم يكن للونا من حديث غير حديث هذه الرحلة الجوية الجريئة . وهذا حادث لم يكن لمسز باكاتيد بد من أن تكسفه بحادث من جانبها أشد منه جرأة وأدعى إلى الإعجاب بأن تصطاد نمراً تحمل جلده معها عند عودتها ، وبأن تنشر الصحف مجموعة من صورها الفوتوغرافية لمناسبة هذا الحديث العظيم

ورسمت مسز باكاتيد في رأسها بالفعل صورة لمأدبة غداء تأدبها في بيتها بشارع كرزون استريت لمناسبة ظاهرها تكريم لونا بمبرتون ، وباطنها أن يرى المدعوون جلد النمر الذي اصطادته يغطي القسم الأكبر من أرض الغرفة ، وأن يستغرق حديث هذا الصيد كل الوقت الذي يقضيه الضيوف في هذه الوليمة. كذلك رسمت في رأسها صورة الشبك المصنوع من مخلب النمر الذي تقدمه هدية للونا بمبرتون في عيد ميلادها المقبل . وكانت مسز باكاتيد امرأة شاذة في عالم مفروض فيه أنه واقع تحت تأثير الجوع والحب، فكانت تتأثر — إلى مدى بعيد — في أغراضها وحركاتها بكرهها للونا بمبرتون

وساعدت الظروف مسز باكاليد ، فقد عرضت أن تدفع ألف روبية لمن يهيئ لها فرصة اصطياد نمر دون التعرض لخطر جدي ودون بذل مجهود شاق . وقد اتفق أن إحدى القرى المجاورة كان في مقدورها أن تفخر بأنها الملتقى المحبب إلى وحش محترم الأصل اضطره ضعف الشيخوخة أن ينصرف عن تحصيل قوته بافتراس حيوانات الغاب ، وأن يعود معدته القناعة بالحيوانات الصغيرة الأليفة . فحركت الألف روبية الموعود بهـا غريزة القرويين الرياضية التجارية ، فرابطوا ليل نهار على الحدود الخارجية للغابة المحلية ليبقوا النمر داخل هذه الحدود ويحولوا بينه وبين الخروج منها سعياً وراء ميدان جديد للصيد . وأخذوا يتركون الأنواع الرخيصة من الغنم مهملة عن عمد في دائرة تجوله ليقنع بالبقاء في حدود هذه الدائرة . وكان أخوف ما يخافونه أن يموت ذلك الوحش بمرض الشيخوخة قبل حلول الأجل الذي حددته مسز باكاتيد لاصطياده . وكانت النسوة ومن عائدات من أعمالهن في الحقول يحملن أطفالهن على سواعدهن يكتمن غناءهن إذا مررن بالغابة حتى لا يقطع على سارق الغنم المحترم نومه الهادئ المريح

وأقبلت الليلة التي جعلت أجلا للصيد . وكانت ليلة مقمرة صافية ، وكان القرويون قد أعدوا مصطبة مريحة فوق إحدى الأشجار القائمة في نقطة تناسب عملية الصيد ، وعلى هذه المصطبة قبعت مسز باكاتيد ورفيقتها المأجورة مس مبين، وكان القرويون قد عقلوا في المكان المناسب شاة وهبتها الطبيعة القدرة على الثغاء الذي لا ينقطع حتى لو أن نمراً كان نصف أصم لسمعها دون شك في الليلة الهادئة . وانتظرت المرأة الرياضية صابرة صبر الكرام مجيء الصيد المشتهى ، وكانت مزودة ببندقية مجهزة أدق تجهيز لإصابة المرمى ، كما كانت تحمل معها رزمة من ورق اللعب لتقطع الوقت في غير ملل

وقالت مس مبين :

« أحسبنا معرضتين لشيء من الخطر ؟ »

ولم تكن مس ميبن في الواقع قلقة من ناحيـة الوحش المفترس ، ولكنها كانت ذات طبيعة تأبى أن تؤدى ذرة من العمل فوق القدر الذى أجرت على أدائه

وقد أجابتها مسز باكاتيد :

« كلام فارغ ! فهذا النمر عجوز جدا ولن يستطيع أن يثب إلينا هنا حتى لو أراد ذلك »

فقالت صاحبتها :

إن كان نمرا عجوزا فمن رأيى أن تحصلى عليـه بأرخص من هذا الثمن ، فان الألف روبية مبلغ كبير »

وكانت مس لويزا ميبن متطبعة بطابع أخت لهـــا كبرى شـديدة الحرص فيما يتصل بمسائل المال على العموم دون نظر إلى الجنسية والدين . وكان تدخلها المستمر سببا فى اقتصاد عدد كبير من الروبيات فلا تبدد «بقشيشا» فى بعض فنادق موسكو كما كانت الفرنكات والسنتيات تلتصق بأيديها التصاقا طبيعيا فى ظروف من شأنها أن تنتزعها دون تعب من أيد أقل من أيديها شفقة . وقطع عليها ملاحظتها على الثمن الذى تشترى به جثة النمر ووجوب تخفيض هذا الثمن ظهور النمر نفسه على المسرح ... على أن ذلك الحيوان الشيخ المحترم لم يكد يقع نظره على الشاة المتقلة حتى انبطح على الأرض هادئا ، لارغبة فى أن يحتاط على إخفاء نفسه عن نظرها ، حتى لاتهرب منه ، ولـكن حرصا على أن يرتاح قليلا قبل أن يبدأ حملته الهائلة على فريسته .

فقالت لويزا ميبن فى صوت عال باللغة الهندوستانية لتسمع رئيس القرية الذى كان مختبئا على شجرة مجاورة :

« إنى أعتقد أنه مريض »

فقالت مسز باكاتيد :

« صه ! »

وفى اللحظة نفسها أخذ النمر يسير متخطرا إلى فريسته فقالت مس ميبن فى شىء من اللهفة :

« إذا كان النمر لا يمس الشاة فليس مايدعونا إلى أن ندفع ثمنها . »

وكان لهذه الشاة المعدة طعما للنمر ثمن خاص . وهنا دوى فى الجو صوت الطلق النارى مسبوقا بوميض خاطف للأبصار ، ثم وثب الوحش الـكبير مائلا على أحد جنبيه ورقد ساكنا سكون الموت . فلم تمض لحظة حتى احتشد حول الفريسة عدد كبير من الأهالى المتلهفين ، ولم يلبث صياحهم أن حمل الخبر السار إلى القرية ، فدقت الطبول دقة النصر . وكان لتهليل النصر وأغانى الابتهاج صداها الجميل فى قلب مسز باكاتيد . وبدالها فى الحال أن وليمة النداء فى شارع كرزون استريت ستكون أقرب مما قدرت

وكانت لويزا ميبن هى التى لفتت الأنظار إلى أن الشـاة المسكينة تعانى آلام الموت من أثر إصابتها بطلق نارى بينما لا يوجد فى جسم النمر أى أثر للرصاصة التى أطلقت من بندقيـة الصيادة الماهرة . فكان من الواضح أن الطلق النارى قد أصاب الحيوان غير المقصود ، وأن الوحش الضـارى قد مات بهبوط القلب من أثر صوت الطلق المفاجئ ، وقد ساعد على ذلك انحلال الشيخوخة . وقد ارتاعت مسز باكاتيد ارتياعا ظاهرا من كشف هذه الحقيقة ولـكنها على كل حال قد أصبحت مالـكة نمرا ميتا ، أما القرويون الذين كان لعابهم يسيل على الألف روبية فلم يروا بأسا فى أن يتناسوا عن خرافة اصطياد الوحش . وأما مس ميبن فكانت رفيقة مأجورة . وعلى ذلك واجهت مسز باكاتيد آلات التصوير طروبة القلب ، وطار صيتهـــا من صفحات جريدة « تكساس وسكلى اسنابشت » إلى ملحق يوم الاثنين المصور لجريدة « نوفوى فريميا »

أما فيما يتصل بلونا بمبرتون فقد بقيت عدة أسابيع آبية النظر إلى أية صحيفة مصورة . وكان الخطاب الذى بعثت به إلى مسز باكاتيد تشكر لها فيه إهداءها مشبكا من مخلب النمر مثالا للانفعالات المـكتومة ، وقد رفضت فى الوقت نفسه حضور وليمة النداء ، فان هناك حدودا إذا تخطتها الانفعالات المـكتومة

كان ذلك هو الخطر المحقق

وانتقل جلد النمر من شارع كرزون استريت إلى «مانورهاوس» حيث فحصه رجال البلدية فحصاً قانونيا وأعجبوا به إعجابا شديدا . ولقد كان من عوامل الزهو في نفس مسز باكلتيد ذهابها إلى حفلة تنكرية في مرقص البلدية في لباس ديانا إلهة الصيد . ولقد أبت مع ذلك أن تميل إلى اقتراح كلوفيس الثرى عندما اقترح إقامة مرقص على طراز القصور القديمة يلبس فيها الراقصون جلود الحيوانات التي اصطادوها حديثا . ولقد قال كلوفيس عندئذ :

« وسأكون في هذه الحال كالطفل الرضيع لا أجد ما ألبسه غير جلد أرنب أو أرنبين »

ثم قال وهو ينظر إلى تقاسيم وجه ديانا نظرة خبيثة :

« وإن قوامي ليشبه قوام ذلك الطفل الرومي الراقص »

وبعد أيام قليلة من ليلة المرقص قالت لويزا مبين تخاطب مسز باكلتيد :

« ما أبلغها فكاهة أن يعرف الجميع حقيقة ما حدث ! »

فسألتها مسز باكلتيد مسرعة :

« ماذا تقصدين بذلك ؟ »

فأجابت مسز مبين وهي تبتسم ابتسامتها الممضة :

«أقصد أنهم لو عرفوا كيف أصبت الشاة خطأ وأمت النمر خوفا»

فقالت مسز باكلتيد ، وقد تقلبت الألوان على وجهها في سرعة مدهشة :

« لن يصدق إنسان ذلك القول »

فقالت مسز مبين :

« ولكن لونا بمبرتون تصدقه في غير تردد »

فاخضر وجه مسز باكلتيد اخضرارا غريبا وقالت :

« أظنني على يقين أنك لن تخونيني ! »

فأجابت مسز مبين في لهجة ذات معنى :

« لقد رأيت على مقربة من دور كنج داراً خلوية لقضاء نهاية الأسبوع وإني لأحب أن أبتاعها ، ولكنهم يطلبون ثمنا خالصا لها سبعمائة وثمانين جنيها وهو مبلغ مناسب لقيمة الدار ولكني لا أملكه »

وأصبح الأصدقاء جميعاً معجبين بالدار الجميلة التي أطلقت عليها مسز مبين اسم «الأمواج» وهي دار صيفية جميلة تحيط بها حديقة غناء تحوى مجموعة من الأزهار البديعة .

وقد حكم الجميع بأن لويزا قد أبدعت الابداع كله في إعداد دارها وتجميلها .

وقررت مسز باكلتيد ألا تغامر في رياضة الصيد مرة أخرى وكانت تجيب أصدقاءها إذا سألوها عن السبب في ذلك الاحجام بقولها :

« لأن الصيد يتطلب أكلافا مرضية باهظة ! »

ع . ع